لماذا علم المرأة

فوزة اليوسف

اسم الكتاب: لماذا علم المرأة

تأليف: فوزة اليوسف

التصميم الفني:

ريفان محمود

تصميم الغلاف:

رامي مسور

شلير للطباعة والنشر

قامشلو

الطبعة الأولى ٢٠١٨

الطبعة الثانية ٢٠٢٠

weje.vejin@gmail.com

weshanashlier@gmail.com

الفهرس

مقدمة ٤

الفصل الأول

النساء كنَّ أول العالمات ٩

الفصل الثاني

استعمار العلم والمعرفة من قبل الرجل..... ١٥

الفصل الثالث

كيفية معالجة العلم الذكوري لمشكلة تحرر المرأة..... ٢٧

الفصل الرابع

لماذا علم المرأة؟..... ٣٣

الفصل الخامس

المجالات التي سيهتم بها علم المرأة ٦٩

١- الأيكولوجيا (علم البيئة): ٦٩

٢- علم التاريخ..... ٧١

٣- علم الاجتماع ٧٤

٥- علم التدريب والتربية.....٧٧
٦- علم الاقتصاد ٧٩
٧- علم السياسة ٨٢
٨- علم السكان.....٨٥
٩- علم الإلهيات.....٨٦
١٠- علم الأخلاق وعلم الجماليات.....٨٨
الفصل السادس
الحركة الفامينية.....٩٣
الفصل السابع
الذكورة والنظام الذكوري.....١٠٥
الفصل الثامن
نظام الدفاع الذاتي.....١٠٩
الفصل التاسع
من أجل حياة ندية حرة ١١٣
نتيجة.....١٢١

مقدمة

لقد وصلت البراديغما (النظرية المثلى) الذكورية إلى ذروة الطغيان والظلم، بحيث تحول العالم إلى جحيم لا يطاق. فالجنايات اليومية التي تنفذ بحق النساء وأطفالهن من قبل الأزواج، الآباء والإخوة باسم الشرف وباسم العادات أوحتى لأسباب تافهة، تعبر وبما فيه الكفاية عن الانحراف الأخلاقي والفكري والتشرذم الروحي الذي تعيشه الذهنية الذكورية ونظامها. أيضا يعبر هذا بنفس الوقت عن إنه هناك حاجة ماسة إلى التغيير وإلى ثورة ذهنية ووجدانية، وأنه لا يمكن الاستمرار في هذا النظام الذي أصبح بلاء على رأس البشرية. فالنظرية الذكورية التي تعتمد على كل من التعصب القومي، الديني، الجنسي والعلمي، تؤدي يوميا إلى مجازر ومآسي. ويمكن أن نرى نتائجها يوميا في منطقتنا. فالوضع في مصر، في العراق، في سوريا، في تركيا، في ليبيا، في إيران والسعودية وغيرها من دول المنطقة تؤكد على الأزمة التي نعيشها فكريا وبنيويا.

ومن أجل أن نتمكن من الخروج من هذه الأزمة والفوضى بنتائج لصالح الشعوب والنساء، هناك حاجة وقبل كل شيء لرؤية جديدة ونظرية جديدة. ولأن إستراتيجية كل عمل تسير وفق نظرية أو براديغما، لذلك فبقدر ما يكون الفكر والذهن واليوتوبيا سليمة يمكن أن نحصل على إستراتيجية عمل سليمة

أيضا. في حين سيحصل وكما يقول أدرنو" الحياة الخاطئة لا يمكن أن تعاش بشكل صحيح" أي إن الأنظمة التي تعتمد على نظريات وأفكار ديكتاتورية لا يمكن أن تحقق الديمقراطية. أيضا الأنظمة التي تعتمد على نظرية عبودية المرأة لا يمكن أن تحقق نظاما متحررا. لذلك هناك حاجة إلى خطوات جريئة وشجاعة من أجل تحقيق عملية التغيير هذه. ولأن كل تغيير يجابه بالمقاومة من قبل القوى المتعصبة فالمهم هوالإصرار وقوة العزيمة في السير دون استسلام أو تراجع.

يمكن القول أن القائد عبد الله أوجلان أبدى هذه الجسارة في أطروحاته، وكان جريئا في كل فترة ولم يتوانَ في طرحها مهما كانت ردود الفعل قوية. لقد كان صادقا دائما لكل المُضطَهدين، ومن أجل أن يخدمهم فكريا وعمليا نذر حياته في سبيلهم. وإذا كان اليوم مسجونا في جزيرة عمرالي ولمدة ١٧ سنة بشكل انفرادي، يعود وبالدرجة الأولى لخصوصيته هذه. إنه تطرق إلى الكثير من القضايا الشائكة وبرؤية جديدة بما في ذلك قضية حرية المرأة التي تشكل العقدة الكأداء في مجتمعنا والعالم أجمع. فإنه ومنذ البداية كان ذا اهتمام بما يجري في محيطه من تناقضات. ووضع المرأة كان من التناقضات الرئيسية التي أثارت اهتمامه. فإنه قام بالتفكير الدائم بالعلاقات المحيطة بالمرأة. وعمل بشكل دائم خلال مسيرته الثورية بالبحث عن جواب لسؤال "كيف يجب أن نعيش؟" لأن الحياة

الموجودة كانت قد أُفْلِسَت وكان هناك حاجة لحياة جديدة، علاقات جديدة، إمرأة جديدة ورجل جديد.

إنه تمكن من كسر الكثير مما كان قد تم حفظه والتعود عليه. بخروج النساء من البيت والمشاركة في النضال، مقاومة النساء في السجن وعلى رؤوس الجبال، المشاركة الفعالة في العملية التنظيمية وانضمام الآلاف منهن لصفوف الثورة، غيرت الخارطة الجنسوية التي كانت مرسومة في العائلة الكردستانية. وأدى هذا إلى تغيير عميق فيما تحت شعور الرجل الكردي. فالمرأة لم تعد محكومة للمطبخ، لولادة الأطفال، لخدمة الرجل أو القبر. إنها حصلت على خيار جديد وهو النضال من أجل حياة أفضل. التغيير اليومي الذي كان يحصل في حياة النساء كان يشجع انضمامهن بشكل أكثر وهذا الانضمام كان يحقق طاقة قوية من أجل تحقيق تقدم أكثر. فالعلاقة الرفاقية المعتمدة على الجهد، قوة المعنى، الأخلاق، الجمالية، الارتباط اللامحدود بالحرية والقيم ما بين القائد أوجلان وبين المناضلات تحولت ومع الزمن إلى منبع طاقة لا تنضب. وهذا أدى إلى ثورة فكرية، ذهنية وروحية عظيمة.

إن طرح القائد أوجلان لفكرة تجييش المرأة، تحولها إلى تنظيم واسع، نظرية قتل الذكورية كنظام فكري وبنيوي، نظرية الانقطاع (أي الانقطاع عن كل ما هو رجعي، متخلف ويدعو إلى العبودية)، إيديولوجية تحرر المرأة، تأسيس حزب المرأة، تأسيس نظام تنظيمي خاص بالمرأة وأخيرا طرحه لعلم المرأة،

كلها تشكل حلقات من سلسلة واحدة وهي كيفية الوصول إلى حياة ندية متحررة. فكل طرح من هذه الأطروحات كانت بمثابة حملة جديدة لتحقيق الحرية والمساواة بين الرجل والمرأة. هذا وبالطبع طرح علم المرأة يعتبر من أكثر الأطروحات التي سيتم المناقشة عليها، لأنه يعتبر نظرية جديدة ورؤية جديدة للحياة، أيضا سيشكل جوهر علم اجتماع الحرية الذي نحن بأمس الحاجة إليه. وبقدر ما نُعَّرف هذا العلم بشكل جيد، ونقوم بتنظيمه بشكل أكاديمي، سنقوم بتشخيص الأزمة الاجتماعية بشكل أشمل وسنتمكن من تطوير سبل الحل من أجلها.

لذلك وكبداية سنعمل قدر الإمكان على التوقف على سؤال لماذا نرى الحاجة إلى تطوير علم المرأة؟ وما هي ماهية هذا العلم؟. بالطبع مازالت النقاشات بهذا الصدد في مرحلة الرشيم ولكن فتح هذه المسائل للمناقشة وعدم الخوف من اختلاف الآراء سيؤدي بنا إلى ابداع أفكار جديدة وتحقيق ذكاء مشترك يمكن أن تساهم في أن نبدع بشكل أكثر في تشخيص وضعنا وأن نصل إلى طرق حل أنسب.

الفصل الأول

النساء كنَّ أول العالمات

أثبت علم الآثار وعلم الأساطير أنه قبل أعوام ١٥٠٠٠ق.م كان هناك نظام اجتماعي متمركز حول المرأة، وأن المرأة كانت العنصر المُعين في الحياة بكل جوانبها. حيث تكونت المجتمعية الأولى حول المرأة. وقد كان للأمومة دور أساسي في ذلك. وكون المرأة أو الأم مسؤولة عن حماية الأطفال، تغذيتهم وكسائهم، فهي مضطرة إلى التفكير بشكل دائم والإبداع بشكل أكثر. ولأن الذكاء العاطفي والتحليلي لدى المرأة كان في توازن في ذلك الحين، فقد تم اختراع واكتشاف الكثير من الوسائل والحاجات الجديدة من أجل التمكن من إدامة الحياة. حيث تشكلت نواة المجتمع البشري والمتمثلة في الكلان في تلك الفترة. يمكن القول أنه تم تحقيق أعظم الثورات العلمية والتكنولوجية في تلك الفترة. فاكتشاف البذور وزراعتها أدى إلى مرحلة جديدة في حياة الإنسان وهو ترك التنقل والاستقرار في أماكن ملائمة ليتم تشكيل أول القرى، هذا بالإضافة إلى أن اكتشاف الآلات البدائية في العصر الحجري الحديث كان أعظم ثورة تكنولوجية تعيشها الإنسانية. لأنه عن طريقها تم زيادة الإنتاج وبالتالي تأمين التغذية اللازمة للإنسان.

بتطور المجتمعية تطورت ثورة الفكر واللغة بحيث تمكن الكلان (وهو اول وحدة اجتماعية) من التفاهم عن طريق اللغة ليسهّل ذلك الحياة الاجتماعية ويطور قوة التجريد لدى الإنسان والذي يشكل ذروة الذكاء التحليلي.

ولأن المرأة كانت القوة التي تكشف عما يخدم المجتمع وتقوم بتأمينه، فإنه مع الزمن تم تطور فكرة تأليه المرأة كونها تنجب الأطفال وتقدم كل ما يحتاجه الإنسان من غذاء، حماية، كساء وإلخ. هذا و نتيجة عاطفة الأمومة القوية لديها، ذهنية الحياة الحرة، علاقة الصداقة مع الطبيعة وبسبب عدم وجود الخوف والتسلط كنظام في ذلك الحين، كانت المساواة والحرية سائدة في المجتمع بشكل عام و بين الجنسين بشكل خاص.

من أجل أن تقوم المرأة بحماية أطفالها قامت بتقوية المجتمعية حيث تشكل أكثر الآليات حماية للفرد. بذلك ومن أجل حماية قوة ووحدة الكلان والقبيلة، قامت بوضع القواعد الأخلاقية الأولى. حيث وضعت بعض القواعد للعلاقة الجنسية، أيضا تم وضع القواعد من أجل الأكل والتملك. ومازالت بعض هذه القواعد مستمرة حتى اليوم. مثلا عدم اقتراب الرجل من المرأة حينما تكون في الدورة الشهرية، عدم قطع الفاكهة قبل أن تنضج، عدم قطع الأشجار وهي خضراء، اعتبار الخبز شيئا مقدسا، تحريم السرقة، تحريم الكذب... كلها تعود إلى تلك الفترة.

أيضا قامت الأمهات بالكشف عن الكثير من الأدوية التي تستخلص من الأعشاب لتطور بذلك علم الطبابة وطريقة المعالجة الطبيعية بكل أنواعها مازالت سائدة حتى الوقت الراهن، والنساء ما زلن ماهرات في هذه الناحية. من كل هذا نحصل على نتيجة مفادها أن ثورة العلم تحققت في تلك الفترة ، وما نعيشه من تطور علمي تكنولوجي هو نتيجة ذلك الميراث الذي تركه لنا ذلك العصر. وما يتم تطويره اليوم ليس سوى استمرارية له.

من خصوصيات التفكير واستخدام العلم في تلك الفترة هو أن الذهن البشري كان مرنا ومبدعا، وكان ما يزال هناك ارتباط قوي بين الذكاءين العاطفي والتحليلي. إن عقل المرأة المرتبط بالعاطفة أدى إلى أن يكون هناك ارتباط دائم بالحياة. فالعلم والاكتشافات كانت تستخدم فقط من أجل رفاهية الإنسان وتحرره من مصاعب الحياة.

هذا وكان هناك تكامل واتحاد بين العلوم، حيث كانت جميع العلوم متمحورة حول الحياة الاجتماعية. فلا يتم فصل العلوم عن بعضها البعض بما فيها العلوم الاجتماعية والعلوم الفيزيائية وغيرها. لأن جميعها تستخدم من أجل الإنسان. وبما أن الحياة مقدسة إذاً كل ما يخدم إدامة واستمرارية الحياة كان يعتبر شيئا مقدسا، لذلك كان يتم إضفاء القدسية على من يهتم بالعلم. ومن أحد الأسباب الذي كان يجعل المرأة مقدسة هي قوة المعرفة

والإبداع لديها. وكان هناك وحدة بين المادة والروح. حيث لم يكن يقيم أي شيء على إنه جامد. بل كان الإنسان ينظر إلى كل مادة وكل كائن على إنه ذو روح. وطريقة التفكير الآنيمية أي الروحانية تعود إلى هذا الشيء.

فالإنسان كان يرى نفسه جزءا من الطبيعة وأن كل ما يملكه من خصوصيات هي موجودة في الطبيعة أيضا. وهذا يعود بالطبع إلى عدم وجود الرغبة في السيطرة، التحكم والسيطرة على الطبيعة في ذلك الوقت، حيث كان يتم تقييم كل ما هو موجود على أنه يتشكل من الروح والمادة بنفس الوقت. هذا وقد كانت القوة المعنوية لديهم قوية جدا، أيضا ما يقومون بتقديسه يكون شيئاً مرتبطا بحياة الكلان.

فمثلا فكرة الطوطم تعود إلى هذه الحاجة. فكل من يحمي وجود واستمرارية الكلان أوالقبيلة يتم تحويله إلى قوة معنوية ويَكنّونَ الاحترام له ويضفون القدسية عليه، يمكن أن يكون هذا الطوطم إمرأة، لأنها تقوم بدور الحامي والمنتج والمخترع والمبدع في الكلان، أو أن يكون حيواناً أو نباتا تستفيد منه الكلان. فمنهم من يكون طوطمهم السمك، ومنهم الغنم... إلخ. حيث يرى الكلان أنه هناك قرابة بينهم وبين طوطمهم وحتى يعتقدون أنهم يعودون إلى أصل ذلك الطوطم. إن حماية وكَنُّ الاحترام للطوطم يؤدي إلى الاحترام وشعور الحماية بين كل أفراد القبيلة.

الجدير بالذكر أنه لم يكن هناك خوف وعلاقة قسرية بين الطوطم أو الآلهة الأم أو ما يعتقدون به وبين أعضاء القبيلة أو الكلان. بل العلاقة كانت علاقة على أساس المحبة، الطوعية والإرادة. إن حرية التفكير السائدة في تلك الوقت هي أم جميع العلوم والاختراعات التي اكتشفت في تلك الفترة. حيث يقوم الإنسان بالبحث عن المعنى في كل شيء يحيط به. ومن أجل أن يتخلص من عدم المعرفة يقوم بدراسة كل ما يثير اهتمامه. فهو يقوم في كل لحظة بالكشف عن ذاته وعما في الطبيعة. فالحرية الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة كانت تؤدي إلى ذكاء اجتماعي. الكثافة الموجودة في ذكاء الإنسان وخاصة في المرأة التي يمكن أن نراها بشكل واضح في تلك الفترة تؤكد لنا مستوى الحرية التي كانت تسود في المجتمع في ذلك الوقت، هذا إذا ما قيمنا الذكاء، قوة التفكير وقوة الحدس والثقافة المرتبطة بالمجتمع كجزء من انعكاس الحرية بشكل ملموس. لقد كانت الحرية قوة البناء الأساسية في تلك الفترة. وكانت الأخلاق الاجتماعية تتشكل حولها. بهذا يمكن القول أن العقل الاجتماعي الذي كان سائدا في تلك الفترة حقق للإنسانية حياة بقيت وحتى الآن في ذهن البشرية كجنة مفقودة. والبحث عن الجنة هو البحث عن الحرية إذا ما تم تعريف العبودية على أنه العيش في جهنم. وهذا يؤكد على العصر الذهبي الذي عاشته البشرية في ظل نظام الأمهات.

الفصل الثاني

استعمار العلم والمعرفة من قبل الرجل

إن التطور التكنولوجي والاجتماعي أدى مع الزمن إلى فائض في الإنتاج، مما أدى إلى ظهور علاقات جديدة في المجتمع. حسب ما يتم تشخيصه في الوقت الراهن (لأن علم الآثار يمكن أن يقدم دلائل جديدة في المستقبل) يمكن تقييم وتقسيم أسباب انحلال المجتمع الطبيعي والذي استمر تقريبا من عام ١٥٠٠٠ ق.م إلى أعوام ٣٠٠٠- ٢٥٠٠ ق.م إلى شكلين من الأسباب، وهو الأسباب الخارجية والداخلية.

فالأسباب الخارجية كان طمع القبائل التي كانت تعتمد على الصيد والرعي (والتي تكون الخاصيات الذكورية فيها أكثر كثافة) في فائض الإنتاج الموجود في القبائل التي تعتمد على الزراعة (والمتمحورة حول الآلهة الأم). ومن أجل الاستيلاء على القيمة الزائدة إما أن يتم القيام باستخدام العنف، وذلك بتطوير غزوات على تلك القبائل فيتم نهبها والاستيلاء على كل ما هو عائد لها. أو أن يتم عن طريق التجارة بالنفوذ إلى تلك القبائل فيتم تطوير نظام التملك والذي كان غير موجود في المجتمع الطبيعي. ليؤدي ذلك ومع الزمن إلى انحلال الأخلاق

الذي كان يحرم من تراكم القيمة الزائدة. وكان يتم نبذ الذي يقوم بأمر كهذا، لأنه بدلا من المقايضة وغيرها من أساليب تبديل الحاجات كان نظام تقديم الهدايا هو السائد.

أيضا يمكن القول إن ثقافة الصيد التي كانت سائدة في بعض المجتمعات كانت تؤدي إلى استخدام الحيلة، المؤامرة وزرع الفخ أمام الكائنات الحية. والذي يعني الانقطاع عن الذكاء العاطفي والانحراف الذهني بالنسبة للإنسان، استيلاء هذه الذهنية على المجتمعات التي تعتمد على الزراعة، أدى إلى تطوير نفس الأساليب على الإنسان من أجل استثماره. بحيث تتطور الطبقية في المجتمع، فيتم أولاً الاستيلاء وبعدها القضاء على قيم المجتمع الأمومي وكل ما هو عائد للمرأة والمجتمع الطبيعي.

أما بالنسبة إلى الأسباب الداخلية، فإن عدم تطوير نظام الحماية اللازمة ضد تلك الهجمات الشرسة، وأيضا عدم تطوير التدابير المطلوبة أمام كيفية التصرف بالقيمة الزائدة أدى ومع الزمن إلى ضعف وانحلال النظام الأمومي. بالطبع عندما نقول تم الانحلال لا يعني إنه لم يتم إبداء المقاومة أمام هذه الثورة المضادة. ففي الأساطير، اللوحات الكتابية، الأشعار، الرسومات والتماثيل العائدة لتلك الفترة يمكن رؤية مقاومة عظيمة من قبل الإلهات. فالصراع بين كل من الإله أنكي والإلهات إينانا ونينهورساغ، بين الإلهة تيامات وإبنها ماردوك، أيضا بين الإله

زيوس والإلهة متَيس يقص لنا حقيقة الصراع الذي تم بين النظام الأمومي والنظام البطرياركي.

ففي الأساطير السومرية يقال أن الإله أنكي يقوم ببلع النباتات الثمانية العائدة للإلهة نينهورساغ التي قامت بإبداعها بألف جهد وجهد والتي تعبر عن اختراعاتها، فتقوم نينهورساغ بالمقاومة والعمل على إعادتها، فتلعن نينهورساغ أنكي مما يؤدي إلى أن يمرض أنكي في ثمانية من أعضاءه. ويعتبر أنكي الإله الأول الذي قام بالهجوم على القيم التي خلقت من قبل الإلهات.

أما بالنسبة للصراع الذي دار بين أنكي وإينانا. فيقوم أنكي بالاستيلاء على ١٠٤ من قيم الإلهة إينانا والتي تسمى ب(مَ) أي الدساتير العائدة لها ويذهب بها إلى مدينته أريدو، إلا إن إينانا تقوم وبعد تعارك وصراع كبير بإعادتها والعودة إلى مدينتها أوروك. بعدها يقوم مجلس الآلهة بإرسال ثور ليصارع إينانا في الطريق، إلا إن إينانا تقاوم الثور وتستمر في طريقها إلى مدينتها. ليقوم مجلس الآلهة بطردها من المجلس كجزاء وعقوبة لها بذريعة إنها قاومت مشيئتهم.

أما في ملحمة أنوما إيليش البابلية يقوم ماردوك ابن الإلهة تيامات والذي يعرف بقوته العسكرية وبأمر من الآلهة بالهجوم على أمه تيامات للحصول على ما تملكها من قيم، فيهجم على أمه بأعنف الأسلحة فيغرس في البداية الخنجر في قلبها

ويقطعها فيقذف بكل قطعة إلى مكان. ليستولي بعدها على كل الرموز والنياشين العائدة للمجتمع الأمومي.

وفي الأسطورة اليونانية من أجل أن يقوم الإله زيوس بالحصول على عقل إلهة العقل مَتيس يقوم في البداية بالزواج معها، وبعد أن تصبح حاملة يقوم بقتل مَتيس ويقوم بإخراج الجنين من رحمها ليضعه في دماغه. ليحصل بذلك على ذكاء وعقل الإلهة متَيس. هذا ومن خلال الرسومات المرسومة على الجدران والصخور يمكن أن يتم رؤية الحرب الدائرة بين قيم المجتمع الطبيعي وبين النظام الذكوري بشكل جيد. فيتم استخدام كل الأسلحة الفتاكة من قبل الرجل ويتم قتل الإلهات بأفظع الأشكال. ليتم ومع الزمن العمل القضاء على كل أثر للنساء في التاريخ. فيتم مسح وجود النساء من الأساطير، من الرسومات، من التماثيل، من التاريخ، فيصبغ كل شيء بلون الذكورة. فلا نرى وبعد أعوام ١٥٠٠ق.م سوى الرهبان، وكأنه لا يوجد قبلهم أي شيء. فيبدأون كل شيء بأنفسهم.

يمكن القول أن التغيير الذي حصل كان بمثابة ثورة مضادة لكل الثورات التي كانت قد تحققت في ظل المجتمع الطبيعي الذي كان للنساء دور ريادي في تطويرها، فتطور حاكمية الرجل وتسلطه لم يحقق الأفضل للمجتمع البشري. بالعكس تماما أدى إلى نتائج وخيمة بحيث لا يمكن التخلص من آثارها حتى الوقت الراهن. إن تهميش النساء في الأساطير والتشهير

بها والحط من شأنها من قبل الآلهة الذكر يؤدي إلى تهميشها في كل نواحي الحياة. إن ما تتعرض له المرأة من تمزق في الأساطير يكون انعكاسا للتمزق الروحي والإرادي التي باتت تعيشه.

في الوقت الذي كانت الأمومة تعني القدسية نرى أنه في ملحمة بابل تتحول الأم في شخصية تيامات إلى شريرة يجب التخلص منها، ليتم بذلك تحويل كل ما هو عائد للمرأة إلى شيء مضر، كريه، معيب، آثم، مخجل وحقير. في حين يتم تحويل كل ما هو عائد للرجل إلى فضيلة، بطولة، مجد، فخر واعتزاز. لقد أدى هذا التغيير إلى فقر في الحياة، حيث تم ترك المجتمع الذي كان ذا صوتين والمتنوع الألوان مكانه لمجتمع ذي صوت ولون واحد. ومنذ أعوام ٢٠٠٠-١٥٠٠ق.م يتم نشر هذه الثقافة من قبل النظام الذكوري بأغنى وأفظع الأساليب وحتى الوقت الراهن. وبذلك تبدأ مرحلة جديدة بالنسبة للمرأة وللبشرية جمعاء. وهي مرحلة النظام الذكوري أي مرحلة العبودية والطبقية والاحتكار.

بالطبع طرأ تغيير كبير على طريقة تفكير الإنسان واستخدامه للعلم. فقبل كل شيء تم الاستسلام للتزمت والدوغمائية وتم الانقطاع عن الطبيعة، بحيث تحولت الحرب إلى أكبر فضيلة، وتم وضع العلم في خدمة تطوير آلات الحرب وترسيخ السلطة. من خلال الآلات والأسلحة التي اخترعت

يمكن رؤية مدى ابتعاد العلم عن خدمة الإنسان بشكل واضح. إن انقطاع الذكاء التحليلي عن الذكاء العاطفي يعتبر أفظع تحريف تعرض له الذهن البشري. إن سيطرة الذكاء التحليلي على فكر الإنسان أدى إلى ابتعاده عن الأخلاق وعن المجتمعية وباتت الحرب، الظلم، الاضطهاد من الأمور الطبيعية. لذلك فإن تأسيس الجيوش والقيام بالنهب والسلب وتحويل الإنسان إلى عبد كان نتيجة الخلل الذي تعرض له التوازن الذي كان موجودا بين الذكاءين التحليلي والعاطفي.

لقد كتب القائد عبد الله أوجلان في مرافعته "دفاعاً عن شعب" عن هذه المرحلة بهذا الشكل: "إنها مرحلة جذرية بالنسبة للذكاء التحليلي. والموضوع الذي عُني به هذا النموذج من الذكاء بالأغلب، هو إيجاد القواعد المساعدة على إدارة العبيد، وإبرازها لهم كتعاليم الإله الخالد. تتأتى عظمة الرهبان السومريين والمصريين من الأهمية القصوى التي يتسم بها هذا الموضوع في تاريخ البشرية. فذكاءاتهم المنقطعة عن المجتمع الطبيعي وحياته، ابتدعت نظاماً تصورياً ميثولوجياً مدهشاً وكاملاً. ولكي يُقنِعوا العبيد بكل ذلك، أسسوا الأنظمة المدرسية (الأكاديميات) والمعابد والهياكل على نحو أكثر إثارة للدهشة وأكثر سلباً للعقول. وبإحلالهم الديانات التي يغلب عليها الإله الحاكم المقتدر، محل الديانات الروحانية غير الخطيرة، والتي كانت سائدة في المجتمع الطبيعي؛ طوروا الخنوع والإذعان

على الدوام. وأَفهَموا العبيد بدقة لامتناهية دوافع ضرورة خوفهم من الآلهة الجديدة –بتحريفهم لماهية مشاعر الخوف– وماذا ستكون مكافآتهم في حال امتثلوا لأوامرها حرفياً. ولأول مرة في التاريخ، أوجدوا اليوتوبيات المتضمنة مصطلَحَ الجنة والنار. إنهم بذلك يطورون أصلاً النظام الأيديولوجي اللازم للامتثال التام لطبقة الأسياد الجدد، وإطاعتها. أما كون طراز تفكيرهم ميثولوجياً، فهو يتناسب وروح عصرهم. في الحقيقة، إن الديانة الأرواحية (Animism) تنادي بالحرية والمساواة. في حين أن الدين الجديد ذا الميثولوجيا الغالبة، هو دين الطبقة، دين العبودية واللامساواة. ويأمر بالاعتماد أساساً على الإذعان المطلق للآلهة (الأسياد).

هذه الثورة الذهنية المضادة المتحققة في تاريخ البشرية، هي بحق إحدى أعظم انطلاقات الذكاء التحليلي. إنها تَطوُّر العقل الطبقي. وغدا واجباً إعادة صياغة التاريخ والآداب والفن والقانون والسياسة، وفقاً لهذه الذهنية الطبقية. نرى أكثر حالات هذه المرحلة أصالة وقوة، في الميثولوجيا السومرية والمصرية. لقد شرعت الأيديولوجية الطبقية المهيمنة الاستعمارية فيها بولوج الدرب اللازمة لتغدو مجتمعاً فوقياً ودولتياً. وكل خطوة ستُخطى على هذه الدرب، ستكون باسم المجتمع برمته، وستكون مُلكاً له. أما أيديولوجية المرأة الإلهة، المتبقية من المجتمع الطبيعي، فستُستعمَر وتُستغَل تدريجياً، وستُفرَغ من

محتواها وتذاب، لتُحفَّز بالتالي على خدمة نظام الرجل الإله. تماماً مثلما تحفَّز المرأة على خدمة الرجل (أي على الفحوش والدعارة العامة والخاصة). وسيتحول كافة أعضاء المجتمع الطبيعي، الأحرار والمتساوين، إلى طبقة عبيد جديدة.

ثمة ملحمة سومرية تذكر أن الناس خُلقوا من "بُراز" الآلهة. ومسألة خلق المرأة من ضلع الرجل، يمر ذكرها –أول مرة– في ملحمة سومرية. حقاً، لقد أنجزت الميثولوجيا السومرية نجاحاً باهراً وخارقاً، بحيث أثرت على كل الميثولوجيات اللاحقة لها، وشكلت عيناً أصيلة للأديان التوحيدية والآداب والقانون. وقد انعكست خاصية كلكامش المذكورة في الملحمة، بتأثيرات مشابهة، على كافة الملاحم الأخرى في العالم.

باعتبار أن صياغة الحل الشمولي للبنية العقلية السومرية ليست موضوع عرضنا هنا، لذا، وباختصار نقول أنه ما من جدل في أنها تشكل المنبع الرئيس للبدء بالتاريخ (وبالتالي الحضارة)، ليس بقمعها فحسب، بل وبذكائها التحليلي أيضاً. علينا البحث عن جذور الفكر الميتافيزيقي الظاهر لاحقاً، في هذا الذكاء بالذات. فما يجري في الأعلى ليس مجرد عيش حفنة من الأسياد لأيامهم العابرة في حياة القصور الأشبه بجنات النعيم. بل إنهم يضعون فيها اللبنات الأولية لعالَم الملاحم واليوتوبيات التي ستُلهي البشرية. أي أن ما يجري هو تجذر "كذبة المجتمع العظيم" في ذهنية البشرية جمعاء، والوصول

بها إلى مستوى المؤسسات، عبر كافة أنواع الميثولوجيات والملاحم والمعابد والمدارس.

إن الثورة المضادة المتحققة في المجتمع السومري على شكل تحول عقلي هو الأوطد والأكثر جذرية في التاريخ؛ إنما غيَّرَت براديغما الإنسانية –وجهة نظرها الأولية تجاه الطبيعة والكون– من جذورها، وفي مقدمتها المجتمع الشرق أوسطي. فمفهوم "الطبيعة والبيئة" الحيوي في المجتمع الطبيعي متنوع ومثمر. لا يرى الطبيعة كظالم أو غول شبح، بل يراها كالأم. فلفظ "أماركي Amargi" الذي يرمز إلى الحرية في اللغة السومرية، إنما يعني في الوقت نفسه العودة إلى الأم. وحتى هذا اللفظ لوحده يسلط الضوء بكل جلاء على ذهنية الثورة المضادة المتحققة. في حين أن وجهة النظر الميثولوجية الجديدة مليئة بالآلهة الذكور المتحكمين في الطبيعة والبيئة، والمعاقِبين إياهما. وكأن الآلهة –الذين هم في الحقيقة الاستبداديون القمعيون والاستعماريون– المرفوعين إلى ما فوق وخارج المجتمع، مع مواراة أنفسهم تدريجياً؛ قد جففوا الطبيعة وأصابوها بالقحط. ثمة تصعيد لمفهوم الطبيعة الميتة، الطبيعة المادة. ومثلما هي حال العبيد المخلوقين من بُراز الآلهة، فسيُحَط من شأن كافة الكائنات الحية مع مرور الزمن.

يجب النظر إلى هذه البراديغما المتجذرة تصاعدياً، على أنها السبب الرئيسي في حالة الإغماء التي يعاني منها مجتمع

الشرق الأوسط اليوم، وعجزه عن الصحو، بعد أن شُلَّت ذهنيته تقريباً. في حين أن المجتمع الأوروبي لم يتمكن من دك دعائم هذه البراديغما وتحطيمها، إلا بقيامه بثورته الكوبرنيكية، بعد إطرائه الإصلاحات على ديانته المسيحية. وداهية تنويرية مثل جيوردانوبرونو، أُحرِق حياً، بسبب دفاعه الصارم عن مفهوم الطبيعة الحية. في الحقيقة إن تغيير البراديغما يعني التغيير الجذري في رؤية الإنسان للطبيعة ولنفسه كجزء من هذه الطبيعة".

هذا يعني أن الانفصال بين المادة والروح قد تطور منذ عهد السومريين. ليتم بعدها تقييم كل ما هو موجود وفق هذه الثنائية. فتتحول الطبيعة، النساء، البرابرة، العبيد مع الزمن إلى "الشيء"، ويتحول القادة، الرهبان، الرجال، أصحاب السلطة إلى "الذات". إن اسلوب التفكير هذا أدى في الحياة المادية إلى استغلال الرجل للمرأة والإنسان للطبيعة والذي يعني تراكم الرأسمال بشكل منظم. والجدير بالذكر إن (رجال العلم) قاموا بترسيخ هذه البراديغما وهذه الرؤية فيما بعد بحيث قاموا بشرعنة عملية السيطرة هذه بتأييدها نظريا وعلميا.

فكل من فرانسيس باكون وديكارت يشكلون أمثلة بارزة من هذه الناحية. بهذا نرى أن العلم مع الزمن قد تداخل بشكل فظيع مع رأس المال والسلطة. فكل تطور علمي وبدلا من أن يخدم حرية الإنسان وتطوره بات مهنة تدر المال. ليس هذا فحسب

بل إن التكنولوجيا والعلم يُستَخدمان من أجل وضع عقل وذكاء الإنسان تحت المراقبة ويضعانه تحت قصف دائم بحيث يعجز الإنسان عن التفكير بإبداع. فيشل كل رد فعل لدى الإنسان بحيث يتحول إلى إنسان آلي مفقود الإرادة لا حول ولا قوة له.

بالطبع القصف لا يقتصر على الناحية الفكرية والروحية فحسب بل إن مراكز العلم تحولت إلى مراكز صنع أسلحة الدمار الشامل. فالأسلحة النووية وغيرها من التخريبات التي تتعرض لها الطبيعة بما فيها من كائنات واللعب بصبغياتها وجوهرها أدى إلى تحول العلم إلى وحش يقوم بالهجوم على الإنسان. فالنظام الرأسمالي والذي يشكل ذروة النظام الذكوري احتكر كل ما هو مرتبط بالعلم والمعرفة وتم وضعها في قفص السلطة والربح الأعظم. فالأكاديميات ومراكز العلم باتت بعيدة عن المرأة، عن الفقراء وعن المجتمع. فإنه وقع بأيدي رجال الأعمال وأصحاب السلطة.

بهذا فقد العلم والمعرفة قدسيته لأنه فقد خاصيته الأساسية وهي تحرير الإنسان من كل ما يكبل إرادته، أيضا لأنه انقطع عن أخلاق الحرية وعن الضمير الجماعي للمجتمع. فبدلا من تقديمه الحل لما تعانيه الإنسانية من أزمات ومشاكل نرى أنه هو نفسه تحول إلى مشكلة وهو أيضا تلقى حصته من الأزمة التي يعاني منها الحداثة الرأسمالية. ويمكن القول إن أحد أسباب

الأزمة التي تعاني منها البشرية هي الأزمة والانحراف التي يعاني منها العلم بحد ذاته.

الفصل الثالث

كيفية معالجة العلم الذكوري لمشكلة تحرر المرأة

واضح جدا أن التغيير الجذري الذي طرأ على نوعية وأسلوب التفكير لدى الإنسان خلال هذه الفترة الزمنية، أثر وبشكل كبير على افتقار وعجز العلم الموجود في المعالجة السليمة للقضايا. ويمكن القول إن من أكثر القضايا التي تعرضت للتحليل الخاطئ وغير الموضوعي هي قضية المرأة. لأن احتكار العلم من قبل الذهنية والسلطة الذكورية كان السبب الرئيسي في عدم التعريف العلمي السليم لما تعاني منه المرأة. ولن يكون من المبالغة القول إن النظام الذكوري عمل بوعي وبشكل متعمد على طمس وإخفاء الحقيقة عن المرأة والمجتمع كي يتمكن من الاستمرار في تسلطه ولكي يطيل من عمر نظامه الاحتكاري هذا. لذلك وكون المرأة أول ضحية للثورة الفكرية المضادة فإن قضية تحرر المرأة تعتبر من أكثر القضايا التي تم تفريغها من جوهرها وأكثر المواضيع التي أهملت من قبل المهيمنين على العلم.

الجدير بالذكر أن المعلومات الموجودة ليست نتيجة الأسئلة التي تطرحها المرأة بصدد وضعها. بل هي الأجوبة التي تشكلت من قبل الرجال، وذلك نتيجة الأسئلة التي وجهوها هم بصدد زوجاتهم، أخواتهم وأمهاتهم. وهذا بحد ذاته يعبر عن مشكلة كبيرة لأن الرجال ينظرون إلى المسائل بمنظورهم الدوني، التسلطي والفوقي. لذلك فالنتائج التي يحصلون عليها لا تعبر عن حقيقة المرأة لأنها تعبر عن كيفية نظرتهم ورؤيتهم للمرأة.

عند البحث ولو بشكل مختصر في العلوم الموجودة يمكن أن نحصل على هذه النتيجة بشكل ملموس. يمكن أن يكون البدء من (العلماء) الذين قاموا بدراسة عملية التطور في الإنسان خطوة صحيحة من أجل التعرف على طريقة البحث غير الحيادية وغير الموضوعية السائدة. عندما نبحث في الكتب المتعلقة بعلم الإنسان نرى وقبل كل شيء أنه يتم منح أهمية كبيرة لكل ما هو متعلق بالرجل. فيتم تقييم عمل الرجل على أنه عمل اقتصادي في حين ما تقوم به النساء هو عمل البيت وما تقوم بالحديث عنه ليس سوى عبارة عن قيل وقال. فنرى أن عملية الصيد التي يقوم بها الرجل تقيم من قبل الرجل على أنها عملية أساسية في التطور البشري، ويجعلونه المحور الرئيسي الذي تطور حوله الاختراعات، الجماعية، التطور الفكري والعقلي، عملية التطور الاجتماعي وقوة التنظيم. في حين

عملية جمع الفواكه وغيرها من النباتات بشكل مستقر من قبل النساء هذا بالإضافة إلى دور الأم في تربية الإنسان وفي عملية تطور الإنسان يتم تهميشها ولا يتم تقييمها على إنها عملية مهمة من أجل تأسيس المجتمعية.

هذا وتم التأكيد من قبل الكثير من (رجال العلم) على إن البنية الفيزيائية هي المعين لمصير حياة الإنسان وتم ربط كل الخاصيات لدى الجنسين بالبنية البيولوجية. ليتم التركيز من قبلهم على إن الفرق الموجود بين البنية الجسدية للجنسين ليس فرقا أو خاصية إنما هو نقص بالنسبة للمرأة ونقطة قوة من أجل الرجل. ليتم بذلك شرعنة النظام الذكوري حيث قيموا بذلك تحكم الرجل على إنه أمر طبيعي، حيث وحسب نظرتهم فإن الطبيعة هي التي فرضت أن تكون المرأة ضعيفة وأن يكون الرجل قويا ومسيطرا. هذا التحليل الخاطئ لوضع المرأة أدى إلى التعريف الخاطئ للرجل أيضا. وهذا يعني إن علم الإنسان نتيجة هذه النظرة المفتقرة لنظرة متكاملة، سليمة، حيادية وأخلاقية أدى إلى تحريف النظام الاجتماعي بشكل عام.

يمكن رؤية نفس الشيء بالنسبة لعلماء النفس أيضا. فنرى أن المازوشية تعتبر أمرا طبيعيا بالنسبة للمرأة في حين تعتبر أمرا سيئا من أجل الرجال. ويؤكدون على إن النرجسية أمر يحتاج إليه الرجال في حين يعتبر أمرا غير ممكن من أجل النساء. الخمول من أجل الرجل أمر محزن في حين عدمه

يعتبر تراجيدية من أجل النساء. في هذه المسألة يعتبر عالم النفس فرويد من العلماء الذين فسروا كل العقد النفسية للمرأة على إنه نتيجة عقدة النقص التي تعانيها المرأة أمام الرجل من الناحية البيولوجية. في حين نظرته الذكورية الضيقة أدت إلى عدم تمكنه من رؤية وتحليل تأثير ثقافة المجتمع الجنسوي على نفسية المرأة. بذلك وبقدر ما عجز عن تحليل نفسية المرأة والعقد النفسية التي تعاني منها بشكل موضوعي. أيضا عجز عن تحليل العقد النفسية التي يعاني منها الرجل في ظل هذا النظام الذي يفتقر للحرية، للعدالة والمساواة.

من هنا يمكن التعرف وبشكل واضح بأن علم النفس وحتى قرابة الستينات من القرن العشرين كان تحت تأثير هذه الرؤية القاصرة. ولأن تشخيص الأمراض لم يكن موضوعيا وسليما لذلك فطرق المعالجة أيضا لم تكن صحيحة مما أدى إلى تعمق الأزمات النفسية لكلا الجنسين بشكل أكثر. ويمكن القول إن الرؤية الفرويدية مازالت سائدة وبشكل واسع على الفئات الاجتماعية. والجنايات اليومية والإنتحارات التي باتت لا تعرف الحدود هي نتيجة عدم التحليل السليم لمعاناة الجنسين.

لقد تطرق القائد أوجلان في مرافعته "سوسيولوجيا الحرية" إلى هذه الرؤى الخاطئة بالنسبة لعلم الاجتماع بهذا الشكل "علم الاجتماع والذي يَفتَرِضُ البحثَ والتَّحَرّيَ في حالةِ نشوء الطبيعة الاجتماعية وتَطَوُّرِها تأسيساً على المجتمع الأخلاقي

والسياسي، نرى أنه أيضا لم يتحرر من الرؤية الذكورية. ليس هذا فحسب بل إن لمدارسِ علم الاجتماع المختلفة وحداتُها المتباينة في حقل البحث. فالثيولوجيا والدين يَتَّخِذان من المجتمع أساساً. بينما تتأسس الاشتراكية العلمية على الطبقة. والفردُ هو الوحدة الأساسية في الليبرالية. إلا إنها جميعا تتفق في تهميشها لدور المرأة وعدم توقفها بالشكل المطلوب على هذه القضية. لذلك عجزت عن التركيز على النقاط الحياتية بالنسبة للمجتمع ولم تتمكن من الوصول إلى نظرة كلياتية متكاملة.

فقد تم تفسير تطور المجتمع بشكل ملتحم مع وجود الدولة، الرجل، الطبقة، الاستغلال، السلطة والمدينة. علينا ألا نتناسى أن السوسيولوجيا (علم الاجتماع) كانت قد نَبَعَت من الحاجةِ لحل قضايا المأزق والتناقض والصراع والحرب المتفاقمة، والتي أسفرت عنها احتكاراتُ رأس المال والسلطة. حيث كانت الأطروحاتُ تُصاغُ الواحدةَ تِلوَ الأخرى ومن جميع الاتجاهات في سبيلِ إنقاذ النظام وجعله قابلاً للعيش. إلا إن المقاربة بالعلم (الوضعي) والعمل على إعادة خلق المجتمع كمهندسين اجتماعيين من قبل رجال العلم الأوربيين وإيمانهم بأن الدولة القومية هي التي ستحل الأزمة الموجودة، أدى إلى أن تتعمق الأزمة بشكل أكثر. لأن الليبرالية التي تعتبر الأيديولوجية المحورية للاحتكار الرأسمالي، قامت بالاستفادة من كل الأفكار بطريقة توفيقية من أجل العمل على استمرارية النظام

الرأسمالي، ونجحت إلى حد كبير في إفشال أية محاولة تغيير، سواء من قبل اليساريين أم اليمينين، لأنهم من الناحية الذهنية والحياة العملية لم يكونوا قد تحرروا من الشبكة المنسوجة من قبل الحداثة الرأسمالية.

هذا ونتيجة عدم تمكن العلماء المهتمين بعلم الاجتماع من تطوير طرق حل سليمة، فقد أدى ذلك إلى تفاقم الأزمات باضطراد ليصل إلى درجة انفجار حروب عالمية. ليهدد العالم كل من الفاشية والنازية والتي كانت إفلاسا للنظريات الاجتماعية في ذلك الحين. بالطبع الاشتراكية المشيدة لم تتمكن من تقديم البديل وهي أيضا سارت على نفس المسار ليكون نهايتها الانهيار. هذه النتائج أدت إلى ظهور تيارات جديدة في علم الاجتماع مثل الأيكولوجيا، الفامينية، النسبية، اليسارية الجديدة، والنظام العالمي، ليبدأ معها عهد من علوم الاجتماع المتشتتة إلى أقسامٍ كثيرة. لا ريب أن تَحَلّي رأس المال المالي بالطابع المهيمن فيما بعد السبيعينات لعب دوراً هاماً في ذلك أيضاً. كان الجانب الإيجابي لذلك يتجسد في تَقَوُّضِ هيمنةِ الفكر الأوروبي المركز. أما جانبه السلبي، فكان متمثلاً في مخاطرِ تَكَوُّنِ علمِ اجتماعٍ مُقَسَّمٍ إلى فروعٍ كثيرة. بهذا بات من الضرورة البحث عن براديغما أو نظرية جديدة من أجل معالجة القضايا الاجتماعية العالقة، لأن الأزمة لم تنتهِ ومازالت مستمرة على قدم وساق."

الفصل الرابع

لماذا علم المرأة؟

لأنه هناك حاجة لتعريف صحيح للمرأة ولقضية تحرر المرأة

إن طرح القائد عبد الله أوجلان للبراديغما التي تعتمد على مبادئ المجتمع الأكولوجي، الديمقراطي وحرية المرأة والرجل يعتبر نهضة فكرية عظيمة. وانتقاده لنظريات علم الاجتماع السابقة استنادا على هذه النظرية، وطرحه لعلم اجتماع الحرية في مرافعته سوسيولوجيا الحرية يشكل بديلا وطريقا لحل الأزمة الفظيعة التي يعاني منها المجتمع البشري. بالإضافة إلى ذلك طرحه لعلم المرأة وتعريفه على إنه يشكل جوهر علم اجتماع الحرية يعتبر رؤية جديدة وأسلوب جديد في كيفية مناقشة القضايا الاجتماعية الموجودة، وأيضا يعتبر نقدا لكل العلماء والنظريات الاجتماعية والمدارس التي همشت قضية تحرر المرأة ولم تولي الأهمية المطلوبة لها.

يمكن القول إن مرافعاته الخمس الأخيرة تشكل رحيقا فكريا ناتجا عن بحث موضوعي شامل. ولن يكون من المبالغة القول إن القائد عبد الله أوجلان وصل إلى درجة الحكمة وهي درجة الوصول إلى العلم بحقائق الأشياء وإدراك جوهرها والتحقق من مصداقيتها ثم العمل بمقتضاها، أي تحويلها إلى إستراتيجية وإيديولوجية عملية يمكن اتباعها في الحياة اليومية. إنها بقدر ما تحمل معنى فلسفيا في جانبها النظري، لكنها أشمل منه وحتى أشمل من العلم نفسه، لأنها وصلت إلى المعرفة الأخلاقية، وكونه بدأ بتحليل كل شيء بدءا من ذاته، فإن ما يقدمه من توجيهات يكون بالنسبة لكل شخص أمرا ملموسا وحياتيا للغاية. وطرحه لعلم المرأة أيضا يعتبر حلقة من سلسلة المعرفة الأخلاقية هذه.

بما أن المرأة تعتبر المستعمرة الأولى وتشكل الخلية الاجتماعية الأولى التي تعرضت للاستبداد والعبودية في تاريخ المجتمع الإنساني، فإن القيام بتسليط الضوء على الجذور التاريخية لهذه القضية وتطوير التشخيص العلمي لأسباب استمرارية هذه القضية يعتبر أمرا لا بد منه. ولأن النظام الذكوري حاول تعريف المرأة من خلال الرجل، فإن تعريفها كان ناقصا ومنحرفا. لأن المرأة أشمل من الرجل سواء من الناحية الجسدية أم على صعيد الدور الاجتماعي. لذلك فإن تعريف المرأة من قبل المجتمع الذكوري المهيمن على إنها

ناقصة، معطوبة، خاملة وإقصاءها من الحياة يعتبر كذبة كبيرة. لأن المرأة تشكل محور الحياة الإجتماعية.

هذا والوحدة بين كل من إسم المرأة والحياة في الكثير من اللغات يؤكد على هذه الحقيقة. ففي اللغة الكردية، jin أي المرأة هي مصدر كلمة jiyan أي الحياة. هذا وكلمة العطاء والإسم الذي يطلق على الأم هما من نفس المصدر. Dayik أي الأم بالكردية تعني العطاء الذي لا ينضب، أو التي تعطي بشكل دائم، أيضا له صلة قوية بالحياة. هذا يعني إنه ومن أجل التعريف بالحياة والرجل بشكل صحيح يجب أن يتم تعريف المرأة أولاً وتحديد دورها المحوري في الحياة الاجتماعية.

وبما أن تعمق الأزمة الاجتماعية يعود إلى الأزمة العلمية والروحية التي يعيشها النظام الذكوري المهيمن، حينها هناك حاجة لعلم جديد يقوم بتقديم البديل. بالطبع عندما يتم تسميته بعلم المرأة، فإنه لا يعني أن هذا العلم يقتصر على ما هو مرتبط بالمرأة فقط. بل إنه علم اجتماعي وانطلاقا من تحليله الصحيح والعلمي لقضية تحرير المرأة سيعمل على التعريف الموضوعي لكل القضايا الاجتماعية. هذا وسيعمل من أجل وضع الأسس الصحيحة للحياة الحرة، أي بقدر ما يقوم بالكشف عن النظام العبودي الذي يلف المرأة والمجتمع، فإنه سيعمل على تطوير نظام فكري واجتماعي يحقق الحرية والحياة الندية الحرة للجنسين. فالعلوم الموجودة تعيش أزمة نتيجة افتقارها

للرؤية التحررية، جميع العلوم الموجودة تحلل القضايا برؤية ذكورية أي بنظرة وضعية، سطحية وبعيدة عن الحقائق، واضح جدا أن العلوم التجريبية أخفقت في تشخيص ما تعانيه المرأة والمجتمع من قضايا.

أيضا من أسباب الحاجة إلى علم المرأة هو الحاجة إلى البحث عن حقيقة ومعنى الحياة. لقد قام النظام الذكوري بتشويه كل ما هو مرتبط بالحياة، إن قيام الآلاف من الرجال يوميا بقتل النساء والأطفال وبعدها قيامهم بالانتحار، أيضا منع النساء من المشاركة في كل ما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية وحصرها في نطاق البيت، قطع صلات المرأة مع المجتمع وجعلها آلة تخدم شهوات ونزوات الرجل المنقطعة عن الأخلاق الاجتماعية. كلها تؤكد على ما تعيشه الحياة من أزمة في منطقتنا.

انقطاع الحياة عن الأخلاق، عن الحرية والمساواة والجمالية، يعني انقطاعها عن القيم المعنوية، وهذا يعني وقوف الحياة على حافة الهاوية. لن يكون من المبالغة القول إن الحروب المتنوعة التي نعيشها في المنطقة يعود سببها الرئيسي إلى فقدان الحياة لمعناها. لدرجة إن القيام بالاعتداء والتعذيب لإمرأة أو طفل، بات أمرا روتينيا بحيث وصل إلى درجة أن يتم مشاهدتها في وسائل الإعلام كأنه أمر عادي.

فالذكاء التحليلي وصل بالإنسان إلى درجة أنه لا يشعر بما يدور حوله من مآسي، لأنه يقيم كل شيء من باب المنطق والعقل فقط، والذي يعني الانقطاع عن حقيقة ومعنى الحياة. إن قيام كل من داعش والكثير من الجيوش بقطع رؤوس الناس واستخدامهم لأفظع أنواع التعذيب ضد النساء يؤكد على ما يعيشه عصرنا من انهيار في الضمير والوجدان. وبالطبع لا يمكن أن نقوم بفصل هذه الممارسات عن الذهنية الذكورية، لأن الجيوش والدول وكل المؤسسات التي تقوم بمثل هذه الممارسات كلها نشأت بعقل الرجل.

يؤكد القائد على هذه الحقائق بهذا الشكل "حسبَ رأيي، فالضررُ الأكبرُ الذي ألحَقَته الرأسماليةُ هو قضاؤُها على معنى الحياة. أو بالأحرى، هو ارتكابُها الخيانةَ الكبرى بشأنِ علاقةِ الحياةِ مع مجتمعِها وبيئتِها. وبطبيعةِ الحال، فنظامُ المدنيةِ المتسترُ وراءَها أيضاً مسؤولٌ مِثلَها عن هذا الوضع. يُقالُ أننا نعيشُ في عصرٍ وصلَ فيه العلمُ والاتصالاتُ أَوجَ قوتِهما. إلا أنّ سيادةَ العجزِ حتى الآن عن تعريفِ الحياةِ وأواصرِها الاجتماعيةِ رغمَ هذا التطورِ الخارقِ للعلم، إنما يثيرُ الذهولَ إلى حدٍّ بعيد. إذن، ينبغي حينها السؤال: هو عِلمُ ماذا، ومن أجلِ مَن؟ وكلّما صِيغَ جوابُ هذَين السؤالَين، فستُفهَمُ دوافعُ عدمِ ردِّ العلمويين الاجتماعيين على السؤالِ الأساسيّ، أي على سؤالِ "ما هي الحياة؟ وما علاقتُها مع المجتمع؟". قد تَبدو هذه الأسئلةُ

بسيطةً للغاية، ولكنها قَيِّمةٌ في معناها بقدرِ حياةِ الكائنِ المسمى بالإنسان. فما هي قيمةُ الإنسانِ ما لَم يُفهَمْ ذلك! ففي هذه الحالة، بوسعِنا الحديثُ عن تَحَوُّلِه إلى مخلوقٍ ربما أدنى قيمةً من حياةِ حيوانٍ أو حتى نباتٍ ما. فالبشريةُ التي لا تَعرِفُ معناها وحقيقتَها مستحيلةُ الوجود. وإنْ وُجِدَت، فستَكُونُ الأكثر انحطاطاً وبربريةً على الإطلاق".

في الحقيقة البشرية تعيش مرحلة انحطاط وبربرية في وقتنا الراهن لأن الحياة التي تتأسس على الظلم، على العبودية وعلى القتل لا يمكن أن تأتي للبشرية إلا بالعقم والزوال. ومن أجل أن نعيد للحياة معناها الحقيقي يجب أن يكون اهتمام علم المرأة في البداية بماهية الحياة. فالمرأة يمكن أن تكون من أكثر الكائنات قربا من حقيقة الحياة، وذلك نتيجة طبيعتها وما يجري في بدنها. فإنها تملك قابلية خلق الحياة من جديد وهذه قوة إلهية. فإنها يمكن أن تعرف الحياة من خلال ما تشعر به من إحساس نحو الطبيعة، نحو الإنسان ونحو الحياة. فالمرأة تعرف قيمة الحياة لذلك قوة الحس والشعور لديها قوية جدا. إنها روحية وقوة الذكاء العاطفي لديها أقوى من الرجل. فذكاءها بنّاء وميال نحو الحياة. لذلك نرى أنها في أعمالها لا تكون هدامة وبالرغم من تهميش وتصغير الرجل لما تقوم به المرأة، فإن الأعمال التي تقوم بها المرأة بشكل عام تخدم إضفاء المعنى على الحياة.

لذلك فعلم المرأة سيعمل قبل كل شيء على تعريف الحياة الاجتماعية من جديد. سيقوم بنقد وتحليل الحياة المزيفة التي تقدم للمرأة والرجل، وستبدأ من تعريف العلاقة بين الحياة والمرأة، بين الحياة والمجتمعية، بين الحياة والحرية، بين الحياة والمعنى، بين الحياة الاجتماعية والطبيعة وبعدها بين المرأة والرجل. هذا وسيقوم علم المرأة بوضع أسس الحياة الجديدة التي تليق بالإنسان.

وبما إن المرأة قامت بوضع أساس المجتمعية، حينها ستتوقف في البداية على علاقة المرأة بالمجتمع وعلاقة الفرد بالمجتمع. في الوقت الذي يعمل رجال العلم الوضعيين على قطع العلاقة بين الفرد والمجتمع وبين المرأة والمجتمع. فإن علم المرأة سيقوم بالكشف عن العلاقة الخلاقة والمبدعة والتوزان الرائع بين كل من الفرد والمجتمع. أيضا سيكون من الضرورة وقوف علم المرأة على التنوع الموجود في الطبيعة وبأن النمطية أياً كان نوعها تؤدي إلى القضاء على هذا التنوع. هذا وسيؤكد علمياً إن التعصب الجنسي أو ذهنية المجتمع الجنسوي الذي يقوم الرجل بفرضه على المجتمع والذي ينكر المرأة لا يؤدي إلى الحرية والجمال والمجتمعية الصحيحة. إنما يؤدي إلى قتل الحياة المبنية على التنوع بكل أشكاله. لذلك بقدر ما تعتمد الحياة الاجتماعية على التنوع في الهويات والأجناس والألوان والأصوات سيكون قوة الحياة في هذه المجتمعات

راسخة. ومن هذا المنطلق فإن الحياة الندية والحرة هي الوحيدة التي ستعطي المعنى الحقيقي للحياة.

من هنا فإن علم المرأة سيقوم بالتوقف على دور المرأة البناء والمبدع في الحياة الاجتماعية ليتم التعرف على حقيقة التعريف الخاطئ للحياة من قبل عقل الرجل الذي يهمش دور المرأة. إن الفردية التي وصلت إلى ذروتها في شخص الرجل أصبحت حالة سرطانية، بحيث وصل إلى درجة جشع لا يمكن لجمه. انقطاع النظام الذكوري المعتمد على الفردية والأنانية عن المجتمعية، تحول إلى وحش كاسر وبقدر ما يقضي يوميا على قيم المجتمع الأخلاقي والسياسي. يقضي على الرجولة نفسها. فالفردية تحولت في شخص الرجل إلى حرب، إلى دمار، إلى فيروس، إلى شذوذ جنسي، إلى غصب، إلى الاعتداء وإلى الجشع المادي.

لذلك فالمهمة الأولية لعلم المرأة هي تحليل هذا الوضع المزري وتطوير رؤية بديلة وحياة بديلة تعتمد على المجتمعية. بالطبع عندما نتوقف على المجتمعية لا يعني إهمال الشخصانية، فلا يمكن التفكير بمجتمع دون أفراد ولكن من الأهمية أن ما يكسب الإنسان خاصيته هو المجتمع. وإذا ما تم تأسيس حياة حرة للأفراد من قبل المجتمعات فإن الأفراد الموجودين فيه سيتحولون إلى شخصيات مبدعة.

يمكن التعرف على هذه العلاقة من خلال هذا المثال الرائع الذي يطرحه القائد عبد الله أوجلان في مرافعته بصدد الشرق الأوسط "بإمكاننا تشبيه مقارنةِ الفردِ مع المجتمعِ بمقارنةِ عُنصُرَي الهيدروجين واليورانيوم. فذَرَّةُ الهيدروجين بُنيةٌ بسيطةٌ عندما تَكُونُ بمفردِها. ورغمَ وجودِ انتشارِ الطاقةِ والجُسَيماتِ في بعضِ أنواعِها، إلا أنّ ذلك محدودٌ للغاية. أما في اليورانيوم، فالمُكَوّناتُ الضخمةُ التعدادِ والمُؤَلَّفةُ من الذّرّاتِ عينِها ضمن تركيبةٍ جديدة، تَضخُّ الطاقةَ وتَنشرُ الجُسَيماتِ باستمرار. علماً أنّ القنبلةَ الذّرّيّةَ تنبعُ من خاصيةِ اليورانيوم تلك. لقد اندمجَ عددٌ جمٌّ من الأفرادِ ضمن تركيبةٍ جديدةٍ في المجتمعِ أيضاً. لكنّ الطاقةَ والجُسَيماتِ التي يَنشرونَها (المجموعات القديمة والجديدة) تَكُونُ بمعايير لا تَقبَلُ المقارنةَ نِسبةً إلى الإنسانِ الفرديّ (الذّرّة التي لا وظيفةَ لها سوى إحياء ذاتِها). عندما يَخسرُ الفردُ مجتمعيتَه، فحتى لو عاشَ فيزيائياً، فهو إما خائنٌ وسافل، أو أذعرٌ شَرود. وهو فانٍ وميتٌ في كِلا المعنَيَين."

هناك حاجة لعلم المرأة لأنه يجب أن يتم ربط العلم بالفلسفة والأخلاق من جديد

الجدير بالذكر هو أن العلم التجريبي بالرغم من مناهضته للميتافزيقيا والدوغمائية إلا إنه تحول إلى سلطة وإلى دين جديد

لم يطلق عليه اسم بعد. بحيث وصل ثقة العلم بنفسه إلى درجة الإفراط وإنها بدأت تتصف بالعنجهية. هذا ولأن العلم انفصل عن الأخلاق والفلسفة لذلك نرى أنه تحول إلى تزمت فكري. وعندما يقال إن هذا البحث علمي وكأنه أمر إلهي لا يمكن النقاش فيه. في حين إن الحياة أثبتت ولآلاف المرات أن الكثير من التشخيصات العلمية لم تكن صحيحة وتم تصحيحها مع الزمن من قبل علماء آخرين. ولكن لأن العلم محتكر من قبل القوى المهيمنة والعلماء فقد أصبحوا جزءا من النظام الذكوري أو حتى درعا من أجل السلطات فإن العلم الحديث علم غير متحرر وغير أخلاقي.

من هنا فإن علم المرأة سيقوم بتحرير العلم من كل تأثير سلبي يكبله ويردعه عن الحقيقة، على العلم أن يكون حياديا وأخلاقيا واجتماعيا. أيضا يجب أن يكون العلم ديمقراطيا وألا يكون محتكرا على فئة. يقول البعض "لتطور العلم ثمن. وإنه يجب أن ننظر إلى فوائد كل تقدم علمي تقني ومخاطره على إنهما جانبان مثنويان يجب أن يحكم المجتمع بينهما." هذا يعني إنه يمكن أن يكون للإكتشافات جوانب إيجابية وسلبية بنفس الوقت. مثل اليورانيوم مثل المبيدات الحشرية، إنها تقتل الحشرات ولكن تؤدي إلى نتائج سلبية جانبية لإحتوائها على المواد الكيمائية. هذه الرؤية تشرع من استخدام العلم بشكل مناهض للحياة الاجتماعية والبيئة.

إذا كان مركز البحث العلمي هو تحقيق الحرية والرفاهية للبشرية وكانت منقطعة عن كل أنواع السلطة والمال. حينها في الحقيقة ستكون ذو مقدرة يمكن على تجنب النواحي السلبية للاختراعات. لذلك من أجل أن يصل العلم إلى تشخيص سليم بحق القضايا أياً كانت نوعها، يجب أن يكون متحررا من النظرة العرقية، الجنسوية والدينية والسلطوية. هذا وأيضا يجب أن يكون متحررا من الناحية المادية. فالعلم يجب أن يخدم المجتمع وألا يكون منبعا لكسب المال الأكثر. من هنا يمكن القول إن علم المرأة يجب أن يشكل بديلا وهو أن يكون علما أخلاقيا يحقق البحث الحر والتشخيص الحر. وأن يكون علم المرأة هو البحث الذي يصحح نفسه بنفسه، ولا بد للأنشطة النظرية المنتجة للمعرفة برؤية علم المرأة أن تكون تقدمية إن كان لها أن تستحق لقب العلم، أي أن تسعى للتجديد والتخلص من الخطأ باستمرار. وهذا يعني القيام بشكل دائم بتطبيق جدلية النقد والنقد الذاتي البناء.

أيضا من أجل الحصول على نتائج سليمة للبحث يجب أن يتم وضع المرأة في مركز كل بحث اجتماعي تقوم به. لن يكون من المبالغة القول إن السبب الرئيسي في الأزمة الاجتماعية وما يعيشه المجتمع من نظام التوحش يعود بالدرجة الأولى إلى التهميش والتعتيم المطبق بحق المرأة. فالقائد أوجلان يؤكد في مرافعته "سوسيولوجيا الحرية" على هذه

الناحية بالشكل التالي: "عندما يتم محاولة حل القضايا الاجتماعية يعتبر القيام بالتركيز على المرأة وتأسيس جهود الحرية والمساواة على حياة المرأة، أساس طريقة البحث الصحيح وفي نفس الوقت أساس الجهود الأخلاقية والجمالية. إن طريقة البحث المحرومة من حقيقة المرأة، ونضال المساواة والحرية الذي لا يضع المرأة في مركزه لا يمكنه أن يصل إلى الحقيقة ولا يمكن أن يحقق الحرية والمساواة."

من هنا نصل إلى نتيجة مفادها أنه وعلى خلاف علم الاجتماع الموجود، هناك حاجة إلى طريقة جديدة في البحث وتحليل القضايا الاجتماعية. وبما إن المرأة تشكل نواة المجتمع حينها يجب أن نبدأ من النواة ومن الجذور وإلا فإن تعريف المجتمع عن طريق البحث في الرجل فقط سيكون مثل تعريف الشجرة بأغصانها أو أوراقها. والذي سيؤدي إلى السطحية وإلى تعريف خاطئ. فإن تعريف المرأة حتى الآن كان على أساس الجزء المتمم للرجل. ويعني عدم تخلص العلم من النظرة الدونية للأديان التي كانت تقول إن "المرأة خلقت من ضلع الرجل" فالمرأة في علم الاجتماع تعرف على إنها الأم، الزوجة، شرف الرجل، الأخت... إلخ. حتى إن النظرة الجنسوية وصلت إلى درجة تقييم المرأة على أنها سلعة جنسية ليست إلا، أي إنها شيء.

هذا التعريف الخاطئ هو السبب في تشكيل الذهنية الذكورية والتي تنتقل من جيل إلى آخر مثل مرض مُعدي. ولأنه يتم تعريف المرأة على إنها شيء بلا روح وأداة مطيعة للرجل، حينها إذا يمكن أن يتم ضربها، شتمها، قتلها، الاعتداء عليها، غصبها وحبسها. لذلك من الضرورة القيام بتعريف جديد للمرأة، يجب أن يتم التوقف على المرأة كوجود اجتماعي مستقل عن الرجل. أي يجب أن يتم البحث في المرأة كذات وشيء، وأن يتم البحث في المرأة كنواة للمجتمع وفي أسباب كيفية تحولها مع الزمن إلى لا شيء.

ليس هذا فحسب بل يجب أن يتم التوقف أيضا على كيفية التحرر من الوضع الموجود. لذلك يعتبر البحث في كل المجالات الدينية، الفلسفية والفنية التي لعبت دوراً أساسياً في نشأة النظرية الذكورية أمراً حياتياً. لذلك سيكون لعلم المرأة الدور الريادي في عملية القضاء على العمى الموجود بصدد المرأة وهيمنة الرجل وتحقيق حركة تنويرية ونهضة فكرية في هذا القرن. بهذا ولأول مرة وبعد آلاف السنين تحصل المرأة على إمكانية تطوير علمها.

أيضا من أسباب الحاجة إلى علم المرأة هو تطويرِ نمطنا في الأسلوب والمعرفة في سبيلِ تحقيقِ انطلاقةِ الحرية والديمقراطية كترجيحٍ ضروري للنفاذ من مرحلةِ "الفوضى" البنيوية للحداثة الذكورية. إن العلم الحديث الذي تأسس دعائمه

من قبل العقلانيين الغربيين لم يؤدي إلا إلى عبودية أكثر أولاً للمرأة وبعدها لكل فئات المجتمع. خاصة نظريات فرانسيس باكون وديكارت كان له تأثيراً كبيراً في تشكيل العقل الجديد واسلوب البحث العلمي. حيث اعتمد بيكون في بحثه عن الحقائق بالاعتماد على الوقائع، واتخذ من الاستقراء منهجاً أساسياً على أمل أن تحقق للناس سلطانا جديدا على بيئتهم. هذا وكان بالطبع عدو طريقة الوصول إلى الحقيقة عن طريق الاستنباط.

إلى جانب ذلك قام ديكارت بصياغة الثنائيات التي نشأت من قبل السومريين من جديد مثل ثنائية الروح والجسد، العقل والمادة، التفكير والإدراك. هذه الطريقة في البحث بدلا من أن تصل بالإنسان إلى اليقين والحقيقة، بالعكس تماما جزأت الطبيعة الاجتماعية وفتحت الطريق أمام نظام استبدادي، لأن هذا المفهوم في العلم نَظَرَ بعينٍ طبيعية إلى التمييز بين المرأة والرجل، بين البرجوازي والبروليتاري في المجتمع، وأدى بالتالي إلى استخدامِ المرأة كـ شيء أو موضوع والرجل كذات أو روح.

هذا بالإضافة إلى إن تقييم العلم على إنه قوة من قبل باكون شكلت اللبنة الأساسية لفرضية العلم = السلطة. هذا الاتحاد السحري الذي تشكل بين العلم والسلطة استخدم بأفظع الأشكال وكأفتك سلاح من قبل النظام الذكوري والحداثة الرأسمالية.

حيث تم استخدام العلم من أجل تحقيق قوة مادية واستبدادية على المجتمع. وإذا ما يتم تهديد البشرية أو حتى الكون بالزوال نتيجة انتشار الأسلحة النووية يعود بالدرجة الأولى إلى هذا المفهوم الخطير للعلم. هذا وإنكار العقلانية للميتافزيقيا لم يكن إلا خدعة، لأن العلم الوضعي تحول مع الزمن إلى دين وإله جديد. إن جعل العلم أو العقل على حد قولهم أساس كل شيء ونفي الجانب المعنوي والميتافزيقية الإيجابية لدى الإنسان كـ(الفضيلة، الجمال، الحرية، الصحيحة) وحتى إخضاع الموسيقى لأسس العقلانية يوضح جيدا التطرف الذي سيطر على العلم الجديد.

أيضا قيام العقل المجرد وحده بحكم الفكر بشكل منقطع عن العاطفة والحس، أدى إلى أن يعيش الإنسان أنانية كريهة بحيث لا يشعر بمصلحة غير مصلحته ولا يتألم إلا لألمه. لأن الأخلاق والوجدان والشعور يكون بالنسبة لهم أمرا ثانويا أو حتى لا قيمة له. ولأن الذكاء التحليلي المنقطع عن الذكاء العاطفي هو الذي يكون في المقدمة. فقد تم التقليل من شأن الفلسفة والأخلاق، اللتان كانتا بمثابة صمام أمان يوقي العلم والمعرفة من الانحراف ويحذر المجتمع بشكل دائم كي يحقق الرقابة المطلوبة. مما قللت من فرص المناهضين للنظام الذكوري في تقديم الإرشادات واتخاذ المواقف اللازمة وتم القضاء بذلك على الاختيار الحر لأفراد المجتمع.

هذا ونتيجة فرض الضوابط على العلم في الوقت الراهن من قبل النظام الذكوري وقيامه بالسيطرة على العلم الوضعي وإضفاء الرسمية عليه، أدى إلى تشتت وانقسام فظيع في العلم بحيث فقد وحدته وتكامله. هكذا تم ربط العلم بالسلطة والمال، فأصبح الهدف من الأبحاث العلمية إرضاء النظام المستبد بدلا من البحث واكتشاف المعاني الأصيلة في حياة الإنسان والطبيعة. بهذا تم انقطاع العلم عن المعرفة ليتم تطور الاتحاد بين العلم – القوة – المال.

لا يتخذ علم المرأة من التقدم على خط مستقيم كوني مطلق ولا النسبية الانفرادية الدائرية اللانهائية أساسا في طريقة البحث

حسبَ تفسير التاريخ بالمسار المستقيم، يتم تقييم النظام الذكوري المتنامي بعد مجتمع القرية والمجتمع الأمومي على إنه النموذج النهائي والأخير. وكأن النظام الذكوري هو الحقيقة بذاتها. حيث يتم تقييم الرجل على إنه القوة المحركة للتاريخ، وكل ما يقوم به فهو مقدس وهو الصحيح، وبأن النظام الذكوري قدر لا يمكن الاستغناء عنه. هذا ويتم إضفاء الأبدية والأزلية على النظام الذكوري، بحيث يتم الإيمان بأن كل شيء مناهض لهذا النظام ستحل عليه اللعنة، لأن الرؤية الجنسوية الإجتماعية تتحول مع الزمن إلى طقوس دينية وإلهية وقوانين

اجتماعية، أو حتى يتم تقييمها من قبل العلماء الوضعيين على إنها حالة طبيعية ولا يمكن أن يتم تجاوزها. الجدير بالذكر أن علم المرأة يناهض هذا الأسلوب في التعاطي مع الطبيعة الاجتماعية. لأنه يُعَرّف الطبيعة الاجتماعية على أنها مرنة وذلك ضمن التباين الزماني والمكاني، وأن النظام الذكوري وكل الأنظمة المستبدة ليست حقيقة كونية مطلقة وحتمية كما يدعي أصحاب السلطة ومن يروجون لهم من دعاة الميثولوجيا والدين والميتافزيقيا والعلموية الوضعية.

أما بالنسبة لطريقة النسبية الانفرادية الدائرية اللانهائية، فإنها أيضا عاجزة عن التعريف السليم للطبيعة الاجتماعية، ففي الوقت التي تؤكد الشمولية المطلقة على أن جميع القوانيين كونية، فإن النسبية تؤكد على أنه لكل شيء قانونه الخاص به. أي يتم بذلك فصل الانفرادية عن الكونية والعكس صحيح. بهذا نصل إلى نتيجة إن القواعدية الشمولية الثابتة التي تؤول إلى التطور على خطٍّ مستقيمٍ لو كان له نهاية، لَكان وَجَبَ وصولنا إليها ضمن الكون حتى الآن. في حين إذا كانت النسبية التي تحتوي مصطلح "الدائرية اللانهائية"، صحيحاً، لَكان واجباً ألا تُعاش أو تتكون هذه التغيرات والتطورات الكونية الموجودة. طريقة النسبية الانفرادية الدائرية إلى ما لانهاية، تؤكد على أن عملية التطور حلزونية وأن كل شيء يعود إلى ما كان عليه سابقا. أي العودة دائرياً إلى نقطة البداية. وهذا يعني أنه لا

يوجد تغير وتطور إنما التاريخ يكرر نفسه. فيقوم بإنكار تأثير الزمان والمكان على عملية التغير والتطور في الكون، الطبيعة والمجتمع. ولكن في حقيقة الأمر هناك خطأ في هذا الطرح لأنه يمكن أن يكون هناك أوجه التشابه في بعض الأحيان بين الحوادث التي جرت والتي تجري في الوقت الراهن ويمكن أن يبدو لنا أمراً متكررا، ولكن هذا لا يعني أن عملية التطور حلزونية كما يدعون، فالتطورات والتغيرات التي تحصل تكون مختلفة عن بعضها البعض نتيجة تأثير الزمان والمكان.

وبهذا فالتطورية الشمولية والدائرية تتحدان في مضمونهما، ليكونا مفهومَين وأسلوبيَّين يفتقران القدرةَ على إيضاح التطور الكوني المتغير والمتباين. إنهما أسلوبان معلولان. أما الأسلوب الأقرب إلى الصواب، هو أن التغير ممكن بالتباين والتمايز، وبقدر ما تَكُون آنيةً ولحظية، فهي تتضمن اللانهائية أيضاً. هذا يعني إن التغيير موجود في الكون والتغيير لا يعني السير في خط مستقيم وتقدمي بشكل دائم بل هناك تباين وتمايز وتراجع نحو الوراء في بعض الأحيان، لأنه في حالة الفوضى والأزمة يمكن أن يتم ظهور تغييرات وتطورات ليست في الحسبان. هذا وبعض القوانين التي تطبق بحق الطبيعة الأولى (أي الطبيعة بشكل عام)، لا يمكن أن يتم تطبيقها على الطبيعة الثانية (المجتمع البشري). وما يتم تطبيقه بالنسبة للمجتمع لا يمكن أن يتم تطبيقه من أجل جميع الأفراد. أي هناك اختلاف وتمايز في

عملية التغيير والتطور. هذا وبقدر ما تكون عملية التغير آنية ولحظية أي لها نهاية، فإن عملية التغير مستمرة ولا نهاية لها أيضا. من كل هذا نصل إلى نتيجة أن الفصل الكامل بين هذين الاسلوبين وتقييمهما كقطبين متضادين في طريقة البحث غير صحيح، ولا يمكن أن يصل بنا إلى الحقيقة. بل إدامجهما مع بعضهما البعض سيكون أقرب اسلوب إلى الحقيقة في طريقة البحث. أي أن يتم استخدام الأسلوبين، الشمولية والإنفرادية بشكل متكامل وهذا بالطبع بشرط تجنب أسلوب الخط المستقيم في التطور.

يتخذ علم المرأة الأسلوب الجدلي غير المنفي أساسا في طريقة البحث، الكون يتسم بالطابع الجدلي، ولكن من الأهمية التوقف على كيفية تفسير الجدلية، لأن الماديين ينظرون إلى الجدلية بشكل والمثاليين يقيمونها بشكل آخر. لذلك هناك وقبل كل شيء الحاجة إلى تفسير سليم للجدلية لأن لا تفسير الجدل بوحدة الأضداد، ولا تفسيره بالتغير الخالي من الأضداد أو بالتكوين والإبداع اللحظي أمر غير صائب. إن تعريف الحياة بشكل عام وفق قانون تناقض الأضداد وجعله كأمر لا بد منه من أجل عملية التغيير أمر غير صحيح، فبذلك يقوم الماديون الجدليون موضوعيا على شرعنة الحرب الدائمة التي تشن من قبل القوى المستبدة، وكأنه يجب أن يقوم شيء بالقضاء على الآخر من أجل تحقيق الوجود، التطور والتغيير. وذلك اعتمادا

على مبدأ التناقض ونفي النفي الذي تم التوقف عليه لمئات السنين كقوانين جدلية. لذلك نرى أنهم أي الماديين الجدليين قاموا نتيجة هذه الطريقة في التفكير بتهميش الطبيعة الاجتماعية التي تملك خاصية حل المشاكل عن طريق الحوار والمصالحة والطرق السلمية.

أما التفسير الثاني للجدلية والذي يدافع عنه المثاليون الجدليون، فيقيم على أن عملية التطور خالية من التوترات والتناقضات ويفتقد لديناميكياته الذاتية، وبأنه مضطر إلى البحث الدائم عن قوة خارجية دافعة تقوم بدفعه نحوالأمام. هذه بالطبع طريقة تفكير بشكلٍ ميتافزيقي وهي بعيدة عن الحقيقة، وذلك لأنها تنكر الذكاء والطاقة الموجودة في الكون وقوة المجتمع البشري وإرادته في عملية التغيير والتطور.

إذن وكما يقول القائد أوجلان في مرافعته "سوسيولوجيا الحرية": "إنقاذ وتطهير الديناميكتيك من هذَين التفسيرَين المبالَغ فيهما، يتميز بأهمية قصوى. وبالأصل، فالديناميكتيك البَنَّاء وغير المدمِّر أمرٌ مشاهَد في التطورات الحاصلة. وعلى سبيل المثال، فالإنسان نفسه يحمل بين أحشائه تطوراً جدلياً ربما يعادل عمر الكون المحسوب تقريباً. فهو يشتمل في بنيته على الجُسَيماتِ ما تحت الذرّية إلى أرقى مستويات الذرات والجُزَيئات، بقدرِ تَضَمُّنِه جميعَ الأطوار البيولوجية. وهذا التطور الخارق للعادة جدلي، لكنه يعكس جدليةً بنيويةً ومُطَوّرة بوضوحٍ لا يمكن

إنكاره. ما من شك في أن التناقضات الطبقية، التي يكثر النقاش بصددها، تحتضن تناقضات وتنافرات معينة في دواخلها (بالمقدور إضافة التناقضات القَبَلِية والأثنية والقومية والنظامية أيضاً إليها). ولكن، بالمستطاع حل هذه التناقضات بما يتناسب وروح الدياليكتيك، دون اللجوء إلى المجازر، بشرطِ ألا ننسى قوةَ عقلِ المجتمع المرنةَ بدرجةٍ عظمى. بَيْدَ أن طبيعة المجتمع مفعمةٌ بأمثلةٍ لا عدَّ لها ولا حصر من مثل هذا النوع من الحلول. وبينما انكبَّ الأيديولوجيون على إيضاح التطورات بنحوٍ أفضل، لم ينجوا من الوقوع في نتائج معاكسة، ربما رغماً عن إرادتهم. وبأقل تقدير، فوقوعهم مِراراً في هذه الأوضاع، إنما يشير إلى أن تفسير الدياليكتيك أيضاً لا يفتأ محافظاً على أهميته."

علم المرأة يقترب بشكل نقدي من طريقة البحث الميتافيزيقي ولكن لا ينكر دور الميتافزيقيا في حياة الانسان والمجتمع. إن طريقة البحث الميتافزيقي أيضا يعتبر من الأساليب التي أثرت ومازالت مؤثرة على الإنسان. إن ربط عملية التكوين والوجود بخالق خارجي، أو بقوى خارجة عن الطبيعة أدت إلى عقم فكري كبير. هذه الطريقة في التفكير أدت إلى أن يقاوم الذي يؤمنون به عملية التغيير، وأدى إلى تزمت فكري وعقائدي فظيع لديهم. لأنه وحسب اعتقادهم كل شيء خلق من قبل قوة خارجية ومنذ أن خلق الكون لم يتعرض لأي

تغيير ولا يمكن أن يتم التغيير إلا بمشيئة الخالق. إنهم بذلك ينكرون قوة الذكاء وقوة الحرية الموجودة في الطبيعة بشكل عام والطبيعة الاجتماعية بشكل خاص.

هذا والجدير بالذكر إن جميع القوى المستبدة بما فيها النظام الذكوري تعمل على ترسيخ هذه الطريقة في التفكير من أجل أن يرضى المظلومون بما فيهم النساء بالقدر الذي كتب على جبينهم، لأن هذه الطريقة في التفكير تؤدي بالإنسان إلى الحتمية والحكم المطلق. لتتحول القوى المستبدة والنظام الذكوري إلى قوة إلهية تتحكم بكل شيء دون أن يكون للقوى المضطهدة أي حق. ولكن الجدير بالذكر أن النقد وعدم العمل بالاسلوب الميتافيزيقي، لا يعني أن ننكر الميتافيزيقيا بكل أشكالها مثلما فعل الماديون التاريخيون. لأنهم قاموا بتهميش القيم الميتافزيقية بما فيها الانجازات الثقافية، التي تضم في داخلها كلاً من الفن، الجماليات، السياسة، التقنيات وغيرها. أي عندما نقوم بتقييم الميتافزيقيا يجب أن نميز بين الميتافيزيقيا كطريقة للتفكير والبحث والتي تؤدي إلى عقم الفكر الانساني والعمى، وبين الميتافيزيقيا الإيجابية أي الناحية المعنوية، التي تحتوي في داخلها على الفضيلة، الجمال والجاذبية، والتي لا يمكن أن يستغني الانسان عنها في حياته.

علم المرأة يأخذ التوازن ما بين الذكاء العاطفي والذكاء التحليلي اسلوبا في المعرفة ومعالجة القضايا الاجتماعية

في الواقع هناك عقلان يؤثران في سيرورة حياة الانسان. العقل الذي يفكر والعقل الذي يشعر. هاتان الطريقتان المختلفتان اختلافا جوهريا للمعرفة، تتفاعلان لبناء حياتنا العقلية. الأولى طريقة العقل المنطقي، وهي طريقة فهم ما ندركه تمام الإرداك والواضح وضوحا كاملا في وعينا، ويحتاج منا إلى التفكير بعمق وتأمل. ولكن إلى جانب هذا، هناك نظام آخر للمعرفة قوي ومندفع، وأحيانا غير منطقي. هذا النظام هو العقل العاطفي. ويقترب هذا التقسيم الثنائي إلى منطقي وعاطفي من التمييز الشائع بين العقل والقلب. فحين يعرف الانسان بقلبه أن هذا الشيء صحيح، فهذا أمر يختلف عن الاقتناع، نوع من المعرفة أعمق من اليقين وأكثر من التفكير به بالعقل.

هذا وهناك علاقة طردية بين سيطرة العواطف وسيطرة المنطق على العقل. فكلما كانت المشاعر أكثر حدة زادت أهمية العقل العاطفي. وأصبح العقل المنطقي أقل فاعلية. وهذا الترتيب يبدو أنه نابع عبر دور من التطور، من تفوق الاسترشاد بالانفعالات والحدس في استجابتنا التلقائية للمواقف التي تكون فيها حياتنا في خطر، وهي المواقف التي قد يكلفنا فيها التوقف عن التفكير في حياتنا ذاتها.

هذان العقلان يقومان معا في تناغم دقيق دائما بتضافر نظاميهما المختلفين جدا في المعرفة بقيادة حياتنا، وهناك بين العقلين، في كثير من اللحظات تنسيق دقيق رائع. لأن المشاعر ضرورية من أجل التفكير. والتفكير مهم من أجل المشاعر. حيث نشوء العقل المفكر من العقل الانفعالي يكشف عن العلاقة بين الفكر والمشاعر، فقد كان العقل الانفعالي موجودا في المخ قبل وجود العقل المنطقي بزمن طويل. إلا إن تطور الذكاء التحليلي أدى إلى تهميش الذكاء العاطفي والذي أثر بشكل كبير على طريقة التفكير لدى الانسان.

ففي مرافعة "سوسيولوجيا الحرية" يقوم القائد أوجلان بتعريف هذه الفترة بشكل جيد حيث يقول: "مع تَطَوُّرِ الظروفِ الفيزيولوجية للكلام، بَلَغَت الجماعاتُ البشرية مستوى لغةِ (الرموز)، بعد بقائها حقبةً زمنيةً طويلةً تَستَعمِلُ لغةَ الإشارة. وأساسُ اللغةِ الرمزيةِ هو الانتقالُ بوساطةِ الكلمات إلى التفكيرِ المجرد. فالتفاهمُ عبر الاصطلاحاتِ بدلاً من الإشارات إنما هو ثورةٌ عظيمةٌ في تاريخِ البشرية. وما تَبَقَّى عملُه هو تسميةُ الأشياءِ والحوادثِ والوقائع التي تلبي حاجياته الأكثر ضرورة. والتسميةُ مرحلةٌ عظيمةٌ يتماشى معها تَطَوُّرُ الاصطلاحاتِ اللازمة لعقدِ الروابط فيما بين مختلفِ الأسماء. وسواء الأسماء التي تمثل خصائصَ الشيء، أو الوظائف فيما بينها، فهي تُفضي إلى ظهورِ الأفعال وحروفِ العطف الرابطة بينها. ومع

الانتقالِ إلى تركيبِ الجملة، تَكُونُ الثورةُ اللغويةُ قد حَقَّقَت انتصارَها.

هذا ما معناه بروز شكلٍ فكريٍّ جديد. فترسيخُ الكلمات والمفرداتِ في الذهن يُمَكِّن من التفكيرِ بشأنِ الأشياء والأحداث، وإنْ لم تَكُنْ موجودة. إننا على عتبةِ الذكاءِ التصوري أو النظري. إنه تطورٌ رائعٌ مدهش. وإنْ لم أَكُنْ مخطئاً، فالفَصُّ الأماميُّ من القِسمِ الأيسرِ من الدماغِ متخصِّصٌ كلياً بهذا النوعِ من الذكاء. نحن وجهاً لوجه أمام نوعٍ من الذكاء الذي قد يؤدي إلى الأوضاعِ المُضِرَّة والخطيرةِ الفتاكة، بقدرِ ما هو نافعٌ ناجع. وميزتُه الأساسية هي أن نشاطُه منفصل عن العواطف. ويمكننا تعريفه بالذكاءِ التصوري، أو المُفضي إلى بروزِ الفكر التحليلي. ومن أهمِّ مزايا الذكاء التحليلي، أو العقل، قدرتُه على التفكير بشأنِ كلِّ الكون عند اللزوم، دون إرهاقِ نفسه كثيراً، ومقدرتُه على صياغةِ التَّخَيُّلات والأوهامِ اللامحدودة. أي أنّ الذكاءَ التحليلي يُكَوِّنُ عالَماً مذهلاً من التصورات والخيالات. لقد تَطَوَّرَت كفاءةُ صياغةِ المخططات، ونَصبِ الأفخاخِ والمصائد، وحَبكِ المؤامرات والدسائس. بل ويُمكِنُ تقليدُ الطبيعة ومحاكاتُها لتطويرِ كلِّ المخترَعات. وتَغدو مقدرة بلوغِ الهدفِ بالمصائدِ المدروسة وبشتى أنواعِ المكائد والحِيَل السببَ الرئيسيَّ وراء بروزِ واستفحالِ المشاكلِ داخل المجتمع وخارجه.

إنّ اكتسابَ الذكاء بُعدَيه التحليليّ والعاطفي بشكلٍ متداخل فضيلةٌ عظمى خاصةٌ بالإنسان كي يُحَقِّق كَينونَتَه. لكنّ المهمَّ هنا هو: لأيّ غرضٍ يُستخدَم؟ لقد انتبهَ المجتمعُ لهذه القرينةِ منذ المراحلِ البدائية، فكان رَدُّهُ العملَ أساساً بـ الأخلاق كمبدأٍ أولي للتنظيم. حيث لا يمكن ضبطُ الذكاءِ التحليلي أو التحكمُ به من دون الأخلاقِ الاجتماعية. وعلى سبيلِ المثال، فالشخص المشحون بمشاعرِ السخط والغضبِ يمكنه إبادة كلِّ كائنٍ حي أو جماعةٍ بشرية تقف في وجهه، إنْ هو لم يَستَسِغها أو يَرغَبها، بمجردِ إعمالِ ذكائه التحليلي وتشغيله قليلاً.

ومقابلَ هذا الخطر، ارتقى المجتمعُ بالأخلاق، وجعلها مبدأً اجتماعياً اضطرارياً لا بد منه، كي يَقدِرَ على صَدِّه. وجَعَلَت كلُّ جماعةٍ من تعليمِ وتنشئةِ أعضائها وفق منظورٍ أخلاقيٍّ حساسٍ ودقيق وظيفةً أولية. وثنائيةُ "الفضيلة والرذيلة" الأساسيةُ في الأخلاق إنما هي معنيةٌ بوظيفةِ الذكاء التحليلي. فإنْ عَمِلَ على نحوٍ فاضل، يُكَرَّم بأخلاقِ الفضيلة. وإنْ سعى لِيَكُونَ مُضِرَّاً، يُحكَم عليه بكونه يمثل أخلاق الرذيلة. أو بالأحرى، يُنظَر إلى الرذيلةِ على أنها الشيءُ الواجبُ عدم تواجده في كلِّ أخلاق، فتُقمَع وتُعاقَب باستمرار، إلى أنْ تَحتَلَّ أخلاقُ الفضيلة مكانةَ الصدارة.

إلا أنّ هذه الحالةَ من الحل الذي ارتآه المجتمعُ تَظَلُّ قاصرةً عن التحول إلى قوةٍ رادعةٍ كلياً. وسوف يَظَلُّ الماكرون

والمتهافتون على حَبكِ الدسائسِ ونَصبِ الأفخاخ قابعين في التشققاتِ الاجتماعية على الدوام. وبطبيعةِ الحال، فثقافةُ الصيد الغائرةُ في القِدَمِ لها النصيبُ الأوفرُ في حصول ذلك. فمبدأُ ثقافةِ الصيد هو نصب الأفخاخ والمكائد تجاه الكائناتِ الحية الأخرى. إنها ثقافةٌ لها عروقُها المتجذرةُ في عالَمِ الحيوان، بل وعالَمِ النبات أيضاً. وهذه العروق هي في الوقت نفسه العروقُ البيولوجيةُ للذكاء التحليلي. فعندما تَتَّحِدُ ثقافةُ الصيدِ المختلفةُ بالطبع في المجتمع البشري مع تَقَدُّمِ الذكاءِ التحليلي، ولدى تركيبِ جميعةٍ جديدةٍ منها، يؤدي هذا إلى اكتسابها المبكرِ الكفاءةَ أو المقدرةَ على تشكيلِ طبقةٍ وهرميةٍ بحالها في البنية الاجتماعية وفي أيكولوجيا البيئة. وهكذا تبدأ الكارثة. ويتكاتف الفصل بين الجنة وجهنم مع قوةِ الذكاء التحليلي في تأسيسِ الهرمية الاجتماعية، لِيُحرِزا التقدمَ قُدُماً وعلى التوازي. وبينما تُمَهِّدُ الهرميةُ السبيلَ لِمُخَيِّلَةِ الحياةِ في جنانِ عدن بتأسيسِ زمرةٍ من "الرجالِ الذكور الأقوياء" متعاليةٍ على المجتمع، فهي تَفتَحُ الطريقَ بالمقابل لجهنم الذي لن تُدرَك أسبابُه ولا مَخارِجُه، والذي يزداد استعاراً مع الزمن داخلَ المجتمع السفلي.

كانت المرأةُ أولَ ضحيةٍ طالَتها يدُ الرجلِ القوي. فمتانةُ أواصرِها مع الحياة جَعَلَ الذكاءَ العاطفي لدى المرأة أرقى. إنها المسؤولةُ الأوليةُ عن تكوينِ الحياةِ الاجتماعية عبرَ كدحِها المجبولِ بالآلامِ والمخاضات كونها أُمّ الأطفال. وبقدرِ ما تُدرِكُ

معنى الحياة، فهي تَعلَمُ جيداً كيف تُحَقِّقُ سيرورتَها. كما أنها جامعةُ الشمل. وخاصيتُها هذه محصلةُ ذكائها العاطفي من جهة، وضرورةٌ تَعَلَّمَتها من الطبيعةِ من جهة أخرى. ويتبين من المعطياتِ الأنثروبولوجية أنّ الزخمَ الاجتماعي قد تَحَقَّقَ وتَرَاكَمَ حولَ المرأةِ – الأم طيلةَ حقبةٍ طويلةٍ من التاريخ، وأنّ المرأةَ – الأم لعبَت دوراً أقرب ما يَكُون إلى نواةِ الغنى والقِيَم النبيلة. ويمكن الجزم بكونها أمّ فائض القِيمَةِ أيضاً.

من هنا، فَجَشَعُ الرجلِ الذكرِ القوي – الذي حُدِّدَ دورُه الأساسيُّ بالصيد – بهذا الزخم المتراكم، وطمعُه فيه أمرٌ مفهوم. ولدى بسطِ حاكميته، تَغدو الفرصُ السانحةُ في قبضته. ويتم الانتقالُ إلى مرحلةٍ تصبحُ فيها المرأةُ موضوعاً جنسياً، ويغدو الرجلُ أبَ الأطفال، بل والسيدَ الحاكم، ويمتلك حقَّ التصرفِ بالمدخراتِ الثقافيةِ المادية والمعنوية واستملاكها. إنه أمرٌ مثيرٌ للمطامع حقاً. فقوةُ التنظيم التي اكتسبها مع الصيد منحَته فرصةَ بسطِ نفوذه، وتأسيسِ أولِ هرميةٍ اجتماعية. ومن خلالِ مثلِ هذه الظواهر والمستجدات الوقائعية، يمكننا استشفافُ كيفيةِ استخدامِ الذكاء التحليلي لأغراضٍ مشينة لأولِ مرة وبشكلٍ ممنهجٍ داخلَ البنيةِ الاجتماعية. الانتقالُ من عبادةِ المرأة المقدسة إلى عبادةِ الأب، يُؤَمِّنُ تسليحَ الذكاءِ التصوري بِدِرعِ القداسة. يمكن طرحُ مزاعمِ تَجَذُّرِ النظامِ الأبوي البطرياركي على هذه الشاكلةِ كفرضيةٍ قويةِ الاحتمال."

بهذا نرى أن الانحراف الذي حصل في الذكاء التحليلي أدى إلى ترسيخ النظام الاستبدادي الذكوري. وأدى إلى ابتعاد الإنسان عن التقمص الوجداني (أي الأمباتي) وهو التعرف على مشاعر الآخرين، وأيضا منعه من التعرف على الحقيقة عن طريق قوة الحدس. هذا واستبعدوا الحياة الداخلية للإنسان برمتها من مجال الدراسات العلمية. حيث كان يرى السلوكيون أن السلوك الظاهري هو الحد الذي نستطيع رؤيته بموضوعية من الخارج، وهو ما يمكن أن نقوم بدراسته بدقة علمية. حيث كانت الحكمة التقليدية بين علماء المعرفة تؤكد على أن الذكاء يستلزم معالجة الوقائع على نحو صارم ويتسم بالبرودة، أي نموذج من المعلومات الجافة التي لا تشوشها المشاعر. في مثل هذا النموذج لا يكون للعواطف محل في الذكاء، بل يقتصر دورها وكما يعتقدون على تعكير صفوة الحياة العقلانية. وفي هذا الصدد، لا يصبح هذا النموذج المعرفي إلا رؤية تضعف العقل وتفقره، وتفشل في تفسير التعبير عن القلق العاطفي وقوة المشاعر التي تعطي مسارا صحيحا للعقلانية.

ولكن الحياة أثبتت أن الذكاء متضمن في انفعالات الإنسان وعواطفه، وأن الانفعالات يمكن أن تكتسب ذكاء. أيضا أثبتت أنه هناك حاجة إلى تغيير هذه الرؤية العلمية غير المتوازنة، والتي كانت تقوم بالعمل وفق العقلية الخالية من العواطف والانفعالات، وحان الوقت للاعتراف بدور المشاعر في التفكير

والوصول إلى الحقيقة والمعرفة العلمية الأكثر قربا من الصحة. حيث في عالمنا الراهن لا يوجد أهم من الذكاء الاجتماعي وهو أحد أوجه الذكاء العاطفي، هو القدرة على فهم الآخرين، والتصرف الحكيم في العلاقات الإنسانية والذي يشكل أحد جوانب معامل الذكاء الشخصي. والذي ينبع أساسا من الحدس والفطرة السليمة. لذلك يرى علم المرأة أنه ومن أجل الوصول إلى اليقين يجب أن يتم خلق التوازن بين كلا الذكاءين وبهذا سيكون قد تم الحصول على طريقة أكثر موضوعية للبحث في المشاكل التي تعاني منها المرأة والمجتمع.

يأخذ علم المرأة فيزيائية الكوانتوم أساسا في اسلوب بحثه وينقد الطريقة النيوتونية

الفيزياء تعني الطبيعة في اللغة اليونانية، يقوم هذا العلم بدراسة الطبيعة ويحقق بذلك رؤية للكون وللمحيط. إن الفيزياء الكلاسيكية أو فيزياء نيوتن، تقوم بالبحث في المواد الصلبة، الكثيفة والتي يمكن قياسها وذات السرعة البطيئة. كان لهذه الفيزياء تأثير كبير على طريقة التفكير في العالم حتى منتصف القرن العشرين. لأنها أثرت وبشكل كبير على طريقة البحث في الطبيعة والإنسان. إن الرؤية الميكانيكية، المطلقية التي كانت سائدة في فلسفة الفيزياء الكلاسيكية، أدت إلى ترسيخ الذهنية التحكمية بشكل أكثر. اعتمادهم على المادية البحتة أدى

إلى أن يضعوا الإنسان مكان الله. حيث تم تناول الطبيعة على أنها جماد وأنه يمكن للإنسان أن يتحكم بها كيفما يشاء. إن تطبيق هذه الرؤية على المجتمع أدى إلى نتائج وخيمة. حيث تم تهميش الناحية المعنوية لدى الإنسان، ليتم إنشاء مجتمع يفتقر للمشاعر والعواطف والوجدان لأن المادة أصبحت الهدف الأساسي في الحياة. هذا بالإضافة إلى أن معالجة الفيزياء الكلاسيكية للمادة بشكل فظ، مستقيم ومجزأ، أدت إلى تشتت البنية الاجتماعية. ولأن هذه الرؤية كانت تخدم القوى المستبدة فإن استخدامها من الناحية الاجتماعية أدى إلى نشوء مجتمع وفرد ميكانيكي، مطيع ومنقسم في ذاته. هذا والجدير بالذكر أن كلاً من ديكارت وفرانسيس باكون يعتبران من العلماء الذين قاموا بترسيخ فلسفة الفيزياء الكلاسيكية في الناحية الاجتماعية تحت اسم الاسلوب العملي. وإذا ما توقفنا ولو باختصار على خصائص فيزياء نيوتن سنتعرف أكثر على ما تم ذكره في الأعلى. وهي على الشكل التالي:

١- الحقيقة هوموجينية (نمطية متجانسة) وتسير بقانون مطلق.

٢- الحقيقة هرارشية (هرمية) أي تحكمية ولها نظام من الأعلى إلى الأسفل.

٣- الحقيقة ميكانيكية. كل شيء يسير مثل الآلة.

٤- المستقبل واضح، القوانين الموجودة ستكون حاكمة في المستقبل أيضا.

٥- التغيير في الحقيقة نوعية وتراكمية ولسان الكون هو حسابي.

٦- العلم مادي، لأنه عن طريق التجربة والملاحظة يتم التعرف على الحقيقة. وكل ما يثبته العلم فهو صحيح.

٧- نتائج العلم كلها كونية ولابد من تطبيقها، لأننا نحصل عليها عن طريق التجربة والحساب.

لكن مع الزمن ونتيجة أبحاث مختلفة وتطور التكنولوجيا تم التعرف على عالم جديد وهو عالم ماتحت الذرة. حيث أدى ذلك إلى قلب قوانين الفيزياء النيوتونية رأسا على عقب. إن الفيزياء الجديدة والتي يطلق عليها اسم فيزياء كوانتوم (الكوانت يعني حزمة من الطاقة) فإنها تختلف عن الفيزياء الكلاسيكية، حيث تعمل بالبحث في أجسام أصغر من الذرة، وسرعتها في مستوى سرعة الضوء. بالطبع وصول علم الفيزياء إلى هذا المستوى من التطور من قبل العالم ألبرت آينشتاين في عام ١٩٠٥ عن طريق نظرية النسبية، أدى إلى أن تفقد الفيزياء الكلاسيكية تأثيرها وأهميتها. لأن القوانين الجديدة كانت تؤكد أن ما يجري في الطبيعة هو عكس ما كانت تدعيه الفيزياء الكلاسيكية.

ففي الوقت الذي كانت تؤكد فيه الفيزياء الكلاسيكية على أنه يمكن أن يتم قياس كل شيء باسلوب علمي. هذا وإذا تعرفنا

على ماضي وحاضر شيء ما، يمكن أن نتعرف على مستقبله أيضا. نرى أن فيزياء كوانتوم تؤكد عكس ذلك، لأنه في مرحلة الأزمة والنشوء يمكن أن يتم الحصول على نتائج مختلفة تماما عما كان موجودا في الماضي والحاضر. وأيضا بأن السرعة الموجودة في عالم ماتحت الذرة تصعّب من عملية القياس. هذا ويمكن القول أن الرؤية الفلسفية لفيزياء كوانتوم أيضا مختلفة تماماً، حيث ترى أن كل ما هو موجود في الكون فهو حي. أيضا تؤكد على أن كل ظاهرة طبيعية لها قانون خاص بها تعمل وفقه، هذا وبالطبع ضمن معناها العائد لها ولذاتيتها.

هذا والشيء المهم هو أن التطور الطبيعي والاجتماعي لا يسير وفق خط مستقيم ودون انقطاع. بل إن مرحلة الفوضى والأزمة التي تحصل في عالم ماتحت الذرات تؤكد على أن هناك إمكانية تحقيق التغيير وأنه هناك الكثير من الخيارات والاحتمالات التي يمكن أن يتم ترجيحها بشكل حر. وهذا يعتبر ثورة فكرية. لأن هذا الشيء يثبت أنه هناك مجال للترجيح الحر في عالم كل ظاهرة. لأن التنوع يؤدي إلى حرية الاختيار والحرية. في حين التطور على خط مستقيم يؤدي إلى إزالة التنوع ويعني فقدان حرية الاختيار. وإذا ما قمنا بتطبيق هذه القواعد على النظام الاجتماعي. سنرى أنه وعلى العكس مما يدعي البعض فإن حاكمية الرجل على المرأة ليس قدرا وإن الرأسمالية أيضا لم تكن أمراً لا بد منه. وإنه يمكن أن نقوم

بإنشاء وتنظيم حياة جديدة في ظل الأزمة التي نعيشها في الوقت الراهن. هذا ومن خلال خصائص فيزياء كوانتوم يمكن التعرف بشكل أكثر على التغيير الذي حققه في طريقة التفكير نسبة إلى الفيزياء الكلاسيكية. وهي على الشكل التالي:

١- كل شيء حي، كل شيء يولد من الطاقة.

٢- مبدأ الارتباط الكوني، كل شيء مرتبط ببعضه البعض ويؤثر على الآخر.

٣- الغموض وعدم التعرف، وهو عدم التعرف على سرعة الذرة ومكانها بنفس الوقت. لأن مداخلة السرعة يعني مداخلة نشؤها ومكانها.

٤- الثنائية، تتحول الطاقة إلى نوعين من الطاقة الوجود والعدم. الحركة تكون نتيجة التناقض بين الوجود والعدم. أي يمكن أن تتحقق إحداهما، وهذا يؤدي إلى أن يكون هناك خيارات واحتمالات.

بهذا نرى أنه ومن أجل الوصول إلى الحقيقة هناك حاجة إلى رؤية صحيحة. وبقدر ما يكون العلم ذا رؤية متحررة تكون نتائجه وتأثيراته أيضا تحررية. وبما إن فيزيائية كوانتوم هي الأقرب إلى الصحة والنظرة التحررية فإن التعامل معها من قبل علم المرأة يحمل أهمية كبيرة.

من كل هذا نصل إلى نتيجة أنه هناك حاجة لعلم يقوم بقلب كل ما تم ذكره رأسا على عقب. وهو تطوير طريقة بحث تعتمد على الاستنباط بقدر اعتمادها على الاستقراء، علم يقضي على الثنائيات المزيفة، الروح – المادة، الموضوع – الذات، ويتخذ من الوحدة والتكامل طريقة في البحث، بحيث تكون الروح والمادة حقيقة موحدة لا يتم تجزئتها من أجل الوصول إلى اليقين. أيضا هناك حاجة لعلم يوحد بين الذكاء الصوري والذكاء العاطفي، يعطي القيمة للوجدان والعاطفة بقدر إعطائه القيمة للعقل والفكر. ويقوم بالاهتمام بالميتافيزيقيا بقدر اهتمامه بالمادة. هذا وبالطبع هناك حاجة لعلم يعظم من شأن الفلسفة والأخلاق. بحيث تكون خدمة المجتمع وقوة النقد وخلق البديل هو الهدف الأول والأخير. فيقضي بذلك على التشرذم الموجود في العلم. ويكون متحررا من كل الضوابط التي يضعها النظام الذكوري ورسميته. لذلك فعلم المرأة يمكن أن يشكل هوية هذا العلم الحر وانطلاقة جديدة في هذا المجال.

الفصل الخامس

المجالات التي سيهتم بها علم المرأة

في البداية وقبل التطرق إلى هذه المجالات من الأهمية القول أن كل ما هو مرتبط بالحياة الاجتماعية إنما يدخل في محيط واهتمام علم المرأة. من هذا المنطلق يمكن التوقف على مجالات البحث.

١- الأيكولوجيا (علم البيئة):

تعتبر الطبيعة والبيئة التي نعيشها من الضحايا الأوائل للذهنية السلطوية للنظام الذكوري الذي بدأ منذ ٥٠٠٠ سنة. يمكن التعرف عن طريق الأساطير بما فيها ملحمة جلجاميش السومرية وأنوما إليش البابلية على أن عملية السيطرة على الطبيعة واضطهاد المرأة تطورت بشكل متوازي أو متداخل. فمن أجل العمل على زيادة القيمة الزائدة والتراكم الرأسمالي تم استخدام كل الطرق الجشعة من قبل قوى (الحضارة)، ولو إن تطور المدينة، الصناعة وغيرها يعتبر من صفات التمدن والتحضر، إلا إنها وللأسف الشديد لم تخدم سوى حفنة من

الناس الذين يقومون باستغلال كل ما في الطبيعة من أجل رفاهيتهم. بالرغم من إن الطبيعة تقدم بسخاء ودون مقابل كل شيء للإنسان إلا إن جشع الإنسان أدى إلى تخريبات واختلال كبير في توازنها. وخاصة بعد الثورة الصناعية واستيلاء الطبقة الرأسمالية واحتكارها للصناعة وصلت هذه الأزمة إلى القمة.

ولأن المنطق الأساسي في العمل يكون الربح الأعظم فإن استخدام الطبيعة يكون بشكل هدام ويتم محاولة تشويه وتخريب كل ما في الطبيعة في سبيل ذلك. الحروب النووية، استخدام الطاقة النفطية، الهجوم الشرس على طبيعة الحيوان والنبات والإنسان وذلك بالتدخل في هرموناتها وصبغياتها، ناطحات السحاب، التورم السرطاني للمدن كلها من نتاج النظام الرأسمالي الذي يقوده الرجال. هذا الهجوم اليومي على الطبيعة من قبل الإنسان أدى إلى كوراث كبيرة، فالطبيعة عن طريق الزلازل، الفيضانات وتغير المواسم والعواصف والأمراض الخطيرة تنتقم من الإنسان بطريقتها.

وبالرغم من أن ناقوس الخطر بدأ يدق يوميا، إلا إن الحداثة الرأسمالية مازالت مستمرة في جشعها هذا وإنها مستعدة بالتضحية بكل شيء في سبيل مصالحها وشهواتها. بحيث وصلت إلى درجة تهدد حياة كل الكائنات الحية. هذه الأزمة التي تعيشها البيئة لا تؤدي إلى سرطانية طبيعية فحسب، بل

إنها تؤدي إلى أمراض سرطانية اجتماعية أيضا. بالطبع عندما نتحدث عن الأزمة لا نعني الآفات الطبيعية، بل نقصد بالمشاكل التي أوجِدت من قبل الإنسان، وبما إنه هناك فئة احتكارية ورأسمالية تقوم بهذا الشيء، لذلك فقيام علم المرأة بتشخيص أسباب هذه الأزمة بشكل علمي ووضع خارطة طريق من أجل حل هذه الأزمة يعتبر من القضايا الأساسية التي يجب أن يهتم بها. لأن حرية المرأة لا يمكن أن تتحقق في بيئة مريضة ومتعرضة للغصب والاحتلال من قبل النظام الذكوري. فمن أجل خلق التوازن من جديد بين المجتمع والطبيعة وتحقيق المصالحة، هناك حاجة لرؤية واسلوب حياة أيكولوجية ويجب أن تعمل الحركة النسائية بعلمها وبنضالها وبتضامنها مع الحركات الأيكولوجية من أجل وقف هذا الخطر الذي يحدق بكل الكائنات وكل الكون.

٢- علم التاريخ

من أجل التعرف على الحقائق تعتبر كتابة التاريخ بشكل موضوعي أمرا لابد منه، ولأن الوعي التاريخي يؤدي بالإنسان إلى التعرف على جذوره وحقيقته فإن معرفة التاريخ اعتبر شرطا مهما من أجل بناء الحاضر والمستقبل بشكل سليم. من أجل أن تتمكن القوى الاستبدادية من الاستمرار في ظلمها واستغلالها. قامت وبشكل دائم على قطع الصلة بين المظلومين

وبين جذورهم. فالجنس، الطبقة، الشعب الذي لا يعرف تاريخه يكون مثل الإنسان الذي يفقد ذاكرته. لذلك فإن القيام بإدارته وخداعه والسيطرة عليه يكون سهلا. لأنه بذلك يكون محروما من تقييم ما قد حصل له فينسى كل شيء.

عندما ندرس التاريخ نرى أنه كتب من قبل أصحاب القوة والسلطة. وكل قوة تبدأ التاريخ من نفسها فتقوم بإنكار ما قبلها. فالسومريون يبدأون التاريخ من أنفسهم ويهمشون عشرات آلاف السنين التي عاشتها الانسانية قبلهم. فلولا اللوحات والآثار والرسومات والأساطير ما كنا سنعلم أنه هناك عصر كانت فيه النساء آلهات ومقدسات وعالمات. ففي شخص الرهبان السومريين نرى أن الرجال عملوا كل ما في وسعهم من أجل أن يمسحوا آثار ودور النساء في التاريخ.

والآن أوروبا تقوم بنفس الشيء حيث يبدأون كل شيء من الحضارة الإغريقية وينكرون دور الشرق الأوسط. هذا ومن أجل أن يتم التشهير بالحركات المناهضة قامت القوى المستبدة بإطلاق أسماء وصفات سيئة، حيث أطلق اسم البرابرة على المظلومين المناضلين. ومؤرخو العصور الوسطى أطلقوا اسم الساحرات على النساء اللواتي قمن بمقاومة الممارسات الجائرة بحقهن. ومن أجل ألا تتعرف النساء على تاريخ المرأة عبر التاريخ تم تسيير سياسة تعتيمية رهيبة. بحيث من أجل

الحصول على معلومة بهذا الصدد هناك حاجة لتصفح مئات المجلدات لعل وعسى أن يتم قد مر اسم إمرأة في صفحة ما.

هذا بالطبع ليس شيئا عشوائيا بل أمر مبرمج لأن تعرف النساء على تاريخهن ودورهن سيؤدي بهن إلى التحقيق فيما تعشنه، هذا بالإضافة إلى أن معرفة التاريخ تكسب الإنسان الثقة بالذات. خاصة إذا ما عرفت المرأة أن جداتها كانت في يوم من الأيام آلهات، طبيبات، مخترعات، مقاومات، شجاعات. فإنها دون شك لن ترضى بالواقع الحالي وسيؤدي بها إلى البحث عما فقدته وكيف فقدته وعن طريق استعادته.

لذلك قام الرجل وبشتى الحيل وطرق التحريف والمغالطة والكذب على إخفاء الحقائق التاريخية المرتبطة بالمرأة. إن كتابة التاريخ بهذا الشكل يؤكد على أن التاريخ المتعلق بحقيقة الرجل أيضا ليس صحيحا. لذلك هناك حاجة ماسة بتوقف علم المرأة على التاريخ المكتوب والكشف عن حقيقته.

لأنه وكما يقول القائد أوجلان "إن التاريخ مخفي في حاضرنا وحاضرنا مخفي في تاريخنا" ومن أجل أن نتمكن من تطوير نضال مؤثر ضد النظام الذكوري الاستبدادي هناك حاجة إلى الوعي التاريخي وإلى كتابة التاريخ من جديد. من هنا فإن كتابة التاريخ برؤية موضوعية عادلة وتقييم التاريخ البشري بنظرة المرأة يعتبر أمرا أساسيا من أجل تأسيس الحاضر على أسس متينة. وإلا فإن الحركة النسائية المنقطعة

عن جذورها التاريخية لا يمكن أن تقف بصرامة ضد الهجمات الشرسة التي تشنها الذهنية الذكورية.

٣- علم الاجتماع

كما تم التنويه في الأعلى فإن علم الاجتماع يعتبر من العلوم التي يجب أن تتخلص من النظرة الوضعية ومن الذهنية الجنسوية. لذلك فقيام علم المرأة بالاهتمام بعلم الاجتماع، والقيام بتوجيه النقد لعلم الاجتماع الذي بات عاجزا عن حل أبسط قضية اجتماعية يعتبر أمرا حياتيا. فعلم الاجتماع الراهن لم يخرج من شبكة الوضعية، الطبقية، السلطوية، الدولتية، الجنسوية والدينوية. لذلك هناك حاجة لعلم اجتماع جديد يقوم بالعمل على إنشاء مجتمع يضمن فيه العدالة، المساواة والحرية. لأن علم الاجتماع الذي كان ساريا حتى الوقت الراهن خدم عبودية الإنسان ولم ينقذه من وضعه المزري الذي يعيشه. فعلم المرأة سيكون له الدور الإيجابي والبناء في تطوير علم اجتماع الحرية. وبتعريفه السليم للقضايا التي تعاني منها المرأة، الرجل، العائلة، المجتمع سيؤدي إلى طرح حلول موضوعية من أجل الأزمة الاجتماعية الموجودة. إذا ما قيمنا قضية المرأة

على أنها لب القضايا الاجتماعية فهذا يعني أن وضع حرية المرأة في محور الحل سيفتح الطريق أمام حل الكثير من المشاكل التي يعيشها كلا الجنسين أو المجتمع بأجمعه.

٤- علم الإنسان

بما أن علم الإنسان أيضا لم يتحرر من النظرة الدونية للمرأة وتم تحليل وتقييم كل ما هو متعلق بالإنسان بذهنية ذكورية متطرفة. إذاً يجب أن يتم التوقف على المعلومات الموجودة بنظرة نقدية، وهناك حاجة إلى البحث في طبيعة الإنسان من جديد والذي يمكن أن يكون نقطة إنطلاق سليمة. لأن وضع البنية الجسدية أو فيزيولوجية الإنسان كمنبع لكل المشاكل يؤدي إلى نظرة قدرية مطلقة وهو أن المرأة خلقت ضعيفة والرجل قوي من الناحية الجسدية، وأنه من الطبيعي أن يسيطر الرجل على المرأة. من أجل القضاء على هذا التقييم الضيق والسطحي لكلا الجنسين هناك حاجة لإعادة النظر في كل النظريات التي قامت بالبحث في تطور الإنسان. لأن الثقافة، الظروف، التغييرات التي طرأت على البنية الفكرية والسياسية للمجتمع هو الذي يعين ويؤثر في تشكل الإنسان.

ويجب أن يتم التوقف مليا على دور المرأة في الثورات الاجتماعية التي تحققت خلال أعوام ١٢٠٠٠ق.م. فعلم الآثار وعلم الأساطير بالرغم من كل شيء يؤكد ويثبت أنه كان للنساء دور ريادي في ثورة القرية، في ثورة الأخلاق، في الثورة الفكرية، في الثورة الصناعية وكشف الآلات، والثورة العلمية وما تم اختراعه من أدوية وغيرها من الحاجات التي يمكن أن يستفيد منها الإنسان. أي أن التطور الإنساني لم يعتمد فقط على تطور الصيد من قبل الرجل كما يدعي الكثير من علماء علم الإنسان، بل كان للمرأة الدور المميز أو حتى المعين في تلك الفترة.

لذلك فالتوقف من جديد على جذور العائلة، الدولة، الطبقات وعلاقة ما تعيشه المرأة من اضطهاد بهذا التطور الذي طرأ على بنية النوع البشري ضروري. ويجب قبل كل شيء تحرير علم الانسان من النظرة المركزية لعلماء أوروبا لأنهم يقومون بقراءة ودراسة دور المرأة في الثقافة الشرقية بشكل مشوه ولا يقومون بتقييمه بشكل صحيح. ولو أنه بعد الستينات وبعد الحصول على الكثير من التحف والآثار التي تؤكد على الدور القيادي للمرأة. إلا إن هذه النظرة لم تتعمم وما زالت النظرة السائدة هي النظرة القديمة والدونية. من هنا فإن علم المرأة سيعمل على تطوير أبحاث متكاملة، سليمة، أخلاقية، حيادية وعادلة.

٥- علم التدريب والتربية

الجدير بالذكر هو أن جميع مناهج التدريب الموجودة بدءاً من الابتدائي وحتى الجامعات كلها محضرة من قبل الرجل. إذا ما تم القيام بإحصائية سنرى بشكل واضح أن الذين يقومون بوضع أسس ومناهج التعليم معظمهم من الرجال. لأن نسبة النساء في مراكز التعليم العالي قليل ولأنه هناك تهميش للموجودات فإن النظرة السائدة والمؤثرة في تحضير هذه المناهج الدراسية يكون من الرجال. بالطبع عندما نقول التدريب أو التربية لا نقصد بها المدارس فقط، بل إن للعائلة أيضا دورا كبيرا في تربية الطفل. ولأن المرأة أيضا ومنذ الصغر تنشأ وفق النظرة الجنسوية فإنها تقوم بتربية أولادها وفق نفس الذهنية. لذلك نرى أن التعصب الجنسي والنظرة الدونية للمرأة تتطور وبشكل منظم بدءا من الطفولة وحتى الزواج أو سن النضج. فذهنية الطفلة والطفل يتشكلان وفق التقاليد والأفكار السائدة في العائلة وفي المجتمع. فمنذ الصغر يتم تحضير الطفلة لتكون زوجة، مطيعة، مصنع للأطفال، تخدم زوجها، خجولة، غير واثقة من ذاتها، مرتبطة إراديا واقتصاديا بالرجل، تنذر كل حياتها لأجل زوجها وأطفالها، تتحمل كل أنواع التعذيب وتستسلم للوضع الموجود، لأنه لا حول ولا قوة لها. وبشكل متوازي يتم تحضير الطفل ليكون زوجا، أنانيا،

متغطرسا، محبا للعنف، يرى الرجولة في السيطرة على الزوجة والأطفال، هو الناهي والمنكر، إنه صاحب المرأة والأطفال، هو صاحب القرار في كل شيء.

يعني إن التربية الاجتماعية هذه تخلق إمرأة خانعة مطيعة ورجلا ديكتاتورا. بالطبع لا يقتصر هذا الوضع على تدريب العائلة فحسب بل إن المناهج الدراسية تقوم بترسيخ هذه الرؤية في كلا الجنسين. حيث نرى أن كل شيء يدعم دور الرجل ويهمش المرأة. فالمرأة في كتب القراءة، إما أن تكون جدة، أو أماً تقوم بطبخ الطعام، أو تغسل الغسيل أو تكون ممرضة بجانب الطبيب. في حين الرجل يكون البطل، الطبيب، المزارع، المعلم والعالم... إلخ. فالتاريخ، الفلسفة، الرياضيات، الفيزياء والكيمياء، والديانة وغيرها من مواد التدريس كلها تؤكد على شيء وهو أن المرأة لا يوجد لها دور وأن الرجال هم الذين قاموا بخلق كل شيء.

إن هذه السلسلة التدريبية تستمر إلى الجامعة. ومنها فإن كلاً من شخصية المرأة والرجل ونتيجة التربية الغير سليمة تكون هزيلة. وتؤدي إلى أزمة للجنسين. لأن الذهنية التي تتشكل تنعكس على العلاقات بين الجنسين سواء في البيت أم الخارج. هذ الطريقة من التربية والتعليم لا يمكن أن تؤدي إلى أفراد ديمقراطيين وذوي أفكار متحررة. لذلك فانعدام المساواة، أنعدام العدالة والحرية يؤدي إلى صراع يومي بين الجنسين، والأزمة

الموجودة في العائلة، عمليات الطلاق، جرائم الشرف والانتحارات اليومية كلها نتيجة لهذه الذهنية البالية والعلاقات المفتقرة للديمقراطية، للمساواة وللحرية.

نظرا إلى ما تم التطرق إليه نجد أنه هناك حاجة ماسة للتوقف على هذه المسألة. ويجب أن يتم تحقيق تغيير في ذهنية التربية والتعليم سواء الموجودة في العائلة أم في المدارس. قبل كل شيء، القيام بتدريب وتعليم النساء والرجال أيا كانت أعمارهم وفق منهج متحرر وديمقراطي يعتبر أمرا لا بد منه. هذا بالإضافة إلى إنه هناك حاجة لتغيير المناهج التدريبية والتعليمية وتحريرها من هذه الرؤية الجنسوية التي تسمم العقول والمشاعر. من أجل كل هذه الأسباب، يعتبر توقف علم المرأة على هذه الناحية أمرا حياتياً، إذا ما كنا نريد تحقيق حياة ندية متحررة.

٦ـ علم الاقتصاد

يعتبر الاقتصاد من الفعاليات الحياتية من أجل الطبيعة الاجتماعية، بالرغم من أن الاقتصاد كان منذ البداية نتيجة عمل جماعي. إلا إن القوى الاحتكارية قامت بالسيطرة عليه وتم استغلال جهد الإنسان بأفظع الأشكال. من أجل الحصول على ربح أكثر تم تطوير أبشع الطرق. حيث تم تحويل كل شيء إلى مادة تباع وتشترى وعلى رأسه الإنسان. فظاهرة البطالة،

الفقر، استغلال جهود الإنسان وتشييئه وصلت في ظل النظام الرأسمالي إلى ذروتها. حيث تحول كل شيء إلى مادة استهلاكية، بما فيه المرأة، العامل، الأطفال... إلخ. إن العلاقة بين العامل ورب العمل هو علاقة بين العبد والسيد. حيث يتم التحكم بكل شيء عائد للعامل، وإذا ما رفض فإنه محكوم بالبطالة.

حسب الإحصائيات الموجودة هناك تشخيص يفيد بأن ٧٠% من الفقراء في العالم هم من النساء. لأن حصول النساء على العمل صعب قياساً بالرجل، وحتى إذا عملت فإنها لا تأخذ نفس أجرة الرجل وحتى إذا حصلت على نفس الأجرة فإنها لا تملك حق التصرف بقيمة جهدها لأنها ليست فقط تحت سيطرة رب العمل بل تحت سيطرة رب البيت أيضا. أي إن عبودية المرأة تكون مضاعفة. ليس هذا فحسب بل إن الجهد الذي تبذله المرأة في أعمال البيت ليس له قيمة مادية ولا معنوية. فإنها تعمل ليل نهار ولكن لا يتم إطلاق اسم العمل عليها. فقط العمل خارج المنزل هو الذي يتم تقييمه كعمل. من الواضح جدا إن استغلال جهد المرأة أو الرجل من قبل الرأسماليين وأرباب العمل ليست عملية اقتصادية وإنما عملية مضادة للاقتصاد. لأن الاقتصاد يعتبر عملية اجتماعية، أخلاقية وسياسية، ولأن هدفه الرئيسي هو تحقيق الرفاهية وحياة حرة وكريمة للأفراد والمجتمع. حينها يمكننا القول إن النظام الرأسمالي ليس نظاما اقتصاديا.

ونتيجة ما يقوم به من استغلال واحتكار فإنه مضاد لروح دور الاقتصاد في حياة المجتمع.

في هذه الناحية كان طرح القائد عبد الله أوجلان وتحليله ثورة فكرية في مجال علم الاقتصاد. ففي مرافعته "سوسيولوجيا الحرية" يقول: "الإقتصاد يشكل العملية التاريخية للمجتمع، لا يمكن لأي شخص (السيد، رب العمل، المزارع والعامل) والدولة أن يكونوا ذوي دور في عملية الاقتصاد. مثال الأم التي تشكل مؤسسة تاريخية اجتماعية لا يمكن لأي رب عمل، سيد، عامل وقروي ومديني أن يقوم بتقديم الأجر المقابل لما تقوم به من عمل. لأن الأمومة تعتبر من العمليات الأكثر صعوبة وأهمية في المجتمع، إنها تقوم باستمرارية الحياة. إنني لا أتحدث فقط عن إنجابها للأطفال، إنني أرى أن الأمومة ظاهرة ثقافية وهي في حالة عصيان دائم، إنها صاحبة عملية ذكية وأنا أقيمها بنظرة واسعة. والشيء الصحيح هو النظر بهذا الشكل.

حينها إذاً ترك عملية المرأة الصعبة، القسر، المتنورة بالقلب والعقل والمنتفضة بشكل دائم دون أجر والتعامل معها معاملة الكادح الذي لا أجر له، له علاقة مع أي وجدان وعقل؟ الماركسية التي كانت أقرب إيديولوجية من الكادحين، لم يضع جهد المرأة وما شابه من الفئات الاجتماعية في إطار العمليات ذات القيمة ولو أنها دون أجر. حيث عملت على وضع رب

العمل كحجر الزاوية لعلم الاقتصاد. هذا الشكل من الرؤية كيف يمكن أن يقدم حله على إنه حل اجتماعي؟ من هنا نصل إلى نتيجة أن الاقتصاد السياسي لماركس يعتبر الاقتصاد السياسي للبرجوازية. يعني إنه هناك حاجة لنقد ذاتي كبير بهذا الصدد."

في الحقيقة نقد القائد أوجلان لماركس وتشخيصه بشأن كيفية اقترابه من جهد المرأة يؤكد لنا أنه هناك حاجة للبحث في علم الاقتصاد برؤية متحررة من كل النظريات السائدة. لأن هذه النظريات بدلا من أن تخدم حرية المرأة والطبقات الفقيرة والكادحين، نرى أنها خدمت المحتكرين. والإفلاس التي تعرضت له الإشتراكية المشيدة ليس إلا نتيجة لهذه النظريات القاصرة والعاجزة عن تحليل الوضع الاجتماعي والاقتصادي الموجود بشكل سليم وموضوعي. فعلم المرأة مخول بالبحث في هذا المجال لأن المرأة تعتبر من أكثر الفئات الاجتماعية المتعرضة للظلم والاستثمار في هذا المجال.

٧- علم السياسة

يعتبر مصطلح علم السياسة من المصطلحات التي يتم المناقشة عليها. لأنها مثلها مثل الكثير من المصطلحات التي تم تحريفها وربطها بالدولة والسلطة والمدينة وغيرها من المصطلحات، إلا إننا ومثلما نقوم بتعريف الكثير من العلوم من جديد، على علم المرأة أن يقوم بالتوقف بشكل ملي على هذا

العلم أيضا، ولو إن النظام الذكوري يحاول طبع السياسة بطابعه وتعريف نظام إدارة الدولة بالسياسة إلا إنه ما يتم القيام به من قبل الدولة ليست سياسة بل إدارة، بما إن الدولة لا تهتم بما هو في صالح المجتمع فهذا يعني إنه لا يمكن تسيير السياسة اعتمادا على الدولة، لأن المسائل المتعلقة بالديمقراطية والحرية والمساواة يتم عرقلتها من قبل الدولة، فالدول تعني القواعد والقوانين في حين السياسة تعني الابداع، الدولة تقوم بإدارة الموجود في حين السياسة تنشئ وتدير. الدولة هي حرفة في حين السياسة تعتبر فناً. السياسة هي القيام بأفضل الأعمال، والذي يعني بذل الجهد من أجل الحصول عليها، وهذا بحاجة إلى البحث، إلى المعرفة والعلم والتعرف بشكل جيد على الأعمال التي تمس مصالح المجتمع. عندما نبحث في التاريخ نرى أن النساء قمن بشكل دائم بتحقيق ما هو في صالح المجتمع، ولن يكون المبالغة القول إن أول من اهتم بمجال السياسة هي المرأة، لأنها وبحكم أنها مسؤولة عن نشأة الأطفال وأمنهم، وتغذيتهم وكل ما يتعلق بحياتهم فإنها مضطرة لممارسة السياسة، فإنها ومن أجل القيام بإدامة حياة أطفالها، عليها أن تبحث في أفضل الأعمال وأن تبدع في كيفية تحقيقها.

إن إضفاء القدسية على النساء في العصري الحجري الحديث وقيام النساء بدور الآلهة في ذلك الوقت يعود إلى ما كن تقمن به من دور إيجابي في حياة المجتمع. بعد أن تتطور

الدولة والسلطة والطبقية، نرى أن دور السياسة يهمش، لأن النظام الذكوري يقوم بتطوير الدولتية والسلطوية والطبقية والعنف في المجتمع، يتم طرد المرأة من النظام الإداري المشترك، ففي الأساطير يتم التوقف على كيفية قيام الإله الرجل بطرد الإلهة إينانا من مجلس الآلهة بعد أن تعمل على إعادة ما سرقه الإله أنكي من مدينتها. والذي يعبر عن أنه بتطور الدولة من قبل الرجل نرى أنه ومع الزمن يتم إخراج المرأة كليا من مراكز صنع القرار ويتم إدراتها من قبل الرجل كأي مؤسسة أخرى لا حول لها ولا قوة. وإذا ما بحثنا في الحكومات الموجودة نرى أن المرأة مازالت خارج مجلس الآلهة الرجال ومازالت مهمشة. لأن الدولة تفتقتر للديمقراطية وللحرية وللمساواة فإنها فقط تدار من قبل نخبة.

إن نسبة النساء في الوزارات في أكثرية البلدان في العالم ليست أكثر من ١- ٣ %، والذي بدوره يؤكد على انعدام الديمقراطية والمساواة في آليات الإدارة الموجودة. بعد أن تم تطور النظام الجمهوري، طرأت بعض التغييرات على نسبة مشاركة النساء، ولكن هذه التغييرات مازالت شكلية واستغلال المرأة من الناحية السياسية مازال مستمراً. تعمل قوى الحداثة الرأسمالية بكل ما لديها من إمكانيات من أجل استثمار قوة المرأة وقدراتها في سبيل إطالة عمر سلطتها واستعمارها. فتقوم بخداع النساء بشكل أو بآخر لتحصل على أصوات النساء في

الانتخابات، ونتيجة افتقار النساء للوعي السياسي نرى أنهن تنتخبن الرجال وتساهمن وبشكل موضوعي في ترسيخ الدولة والسلطة والذكورة.

من هذا المنطلق تعتبر السياسة من المجالات الأساسية التي يجب أن يتوقف عليها علم المرأة. كذلك من الأهمية التوقف على علاقة الدولة، السلطة، الرأسمالية بما تعانيه المرأة من اضطهاد جنسوي. وبما إن السياسة تعتبر فن الوصول إلى أفضل الأعمال، إلى الحرية والمجتمع الكومينالي حينها يجب على المرأة أن تتعمق في هذا المجال وأن تؤسس آلياتها السياسية الخاصة بها من أجل تحقيق نضال ناجح ضد النظام الذكوري بكل ماهياته.

٨- علم السكان

تقوم الدولة القومية والحداثة الرأسمالية بتقييم المرأة على أنها شيء أو مادة يمكن أن تستخدم كيفما تشاء من أجل ترسيخ هيمنتها وسلطتها على العالم. ومن أجل الحصول على أيدي عاملة رخيصة، وجيش يقوم بالنهب والاحتلال، يتم وضع ولادة الأطفال تحت هيمنتها. فيتم الترويج عبر وسائل الإعلام وعن طريق رجال الدين والأطباء والدساتير من أجل منع عملية الإجهاض أو تحديد النسل. وبالرغم من أن المرأة هي التي تتحمل كل أعباء الحمل ومسؤولية تربية الطفل وكل حاجاته

المادية والمعنوية فإن قرار إنجاب الأطفال يعطى من قبل الرجل، من قبل الدولة، من قبل الدساتير والتي تكون معظمها تحت هيمنة الرجل. فالمرأة ليس لها أي حق على بدنها، إنها تستخدم كمصنع ليس إلا. بالطبع هذه الممارسات الجنسوية بقدر ما تؤذي بدن المرأة وتحطم من إرادتها وحقها في إعطاء القرار بحق ذاتها. فإن مشكلة كثرة عدد السكان في العالم أدت إلى مشاكل اجتماعية وبيئوية فظيعة. ارتفاع نسبة الفقر، البطالة، المرض، الجهل، العبودية والأزمة الموجودة في العائلة وصلت إلى حالة سرطانية. لذلك ومن أجل معالجة هذه المشكلة التي تمس المرأة قبل كل شيء من الناحية المعنوية والمادية، هناك حاجة إلى أن يتوقف عليها علم المرأة وأن يقوم بدراستها وتطوير طرق الحل من أجلها.

٩- علم الإلهيات

لقد شكلت المرأة بدءا من الأساطير، المعتقدات، صحف وكتب كل الأنبياء من القضايا الأساسية التي تم التوقف عليها. ولأن جميع الآيات والأقوال والمبادئ الأخلاقية والأوامر وضعت أو قيلت أو نقلت من قبل الرجال. وتم تفسيرها وتقييمها أيضا من قبل الرجال، هناك حاجة لتقييم جديد ولتفسير جديد. ليس هذا فحسب فإن الممارسات الجنسوية التي تتعرض لها المرأة من قبل الرجل يتم منحها المشروعية اعتمادا على تلك

الآيات، الأقوال والسور والأوامر، ولأنها تنعكس على إنها أوامر إلهية فإن النضال ضدها والتعامل معها ومناقشتها يكون أمرا شائكا للغاية. لأن أي نقد، أو أي تفسير مخالف، يتم تقييمه على أنه كفر ويجب معاقبته بأشد الأشكال. بالطبع النظام الذكوري يكون من أكثر المستفيدين من هذا الوضع، لأنهم يشرعون كل ما يقومون به من اضطهاد وعنف ولا عدالة ولا مساواة ضد المرأة اعتمادا على شريعة الله. حتى النساء أيضا تقبلن بالكثير من هذه الممارسات على أنه أمر إلهي ويجب ألا يتم معارضته. فأحياناً قبل الرجال تقوم النساء بحماية تلك الآيات، الأحاديث والأوامر وهذا يعبر عن خطورة الوضع.

من أجل أن يتم الوصول إلى رؤية سليمة وتفسير سليم لكل ما تم قوله بحق النساء من قبل الكتب السماوية وغيرها من المعتقدات، يجب على علم المرأة أن يعطي أهمية خاصة لهذا المجال. لأن نقطة الانكسار بالنسبة للمرأة أو نقطة الانعطاف تبدأ من تلك الفترة. فبقدر ما يتمكن علم المرأة من تحقيق التقييم التاريخي والموضوعي لهذه الناحية، فسيتمكن من تسليط الضوء والكشف عن الكثير من العقد والهالات السوداء التي تحيط المرأة في مجتمعنا. هذا بالإضافة إلى ذلك الابتعاد عن الرؤية الوضعية والمادية البحتة من هذا الموضوع يعتبر أمراً حياتياً من أجل الوصول إلى الحقيقة.

١٠- علم الأخلاق وعلم الجماليات

قديماً وقبل أن تتطور العلوم الوضعية، كان كل من علم الأخلاق وعلم الجماليات مندمجين مع بعضهما البعض، لأنه لا يمكن أن يتم البحث في الجمال دون ربطه بالناحية الأخلاقية والعكس صحيح. ولكن بعد أن تطورت العلوم الوضعية تم تجزئة طرق البحث والعلوم ليتم الفصل بين هذين العلمين أيضا. أي تم انفصال الجمال عما هو صحيح أي عن المقاييس الأخلاقية. ففي حين كان يتم قديما تقييم الجمال الطبيعي في العالم على أنه يعبر عن الإخلاص والصحة الأخلاقية، وأنه كيف إن المقاييس الصحيحة والانسجام يخلق جمال الموسيقا، الخطوط الصحيحة في الوجه والمقاييس الصحيحة يؤدي إلى جمال الأثر الفني. فالفضيلة الموجودة في الإنسان هي انعكاس الجمال والانسجام الموجود في الطبيعة والكون. لكن في الوقت الراهن وخاصة في ظل الحداثة الرأسمالية نرى أنه هناك هجوم كبير على كل من الأخلاق والجمالية. وتم تحقيق الصناعوية في هذين المجالين بحيث لا يمكن أن يتصوره الإنسان. إذا ما قمنا بالبحث ولو قليلا يمكن التعرف على هذه الحقيقة بشكل واضح.

يقول القائد أوجلان: "إن الأخلاق تعتبر الضمير الجماعي أو المشترك للمجتمع". لأن الأخلاق هي مجموعة من القواعد التي توضع من قبل المجتمع من أجل تحقيق حمايته، وحدته

وتلاحمه. الأخلاق تعين هدف الفرد في الحياة، ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية تعتبر الأخلاق الطريق الذي يجب أن يسلكه، وهي نظام القيم الذي يقوم الفرد بالعمل بها أثناء الفعاليات التي يقوم بها. الأخلاق كعلم تقوم بالكشف عن نظام القيم هذه وتقوم بالعمل على تعريفها.

إنها العلم الذي يقوم بالبحث عما يقوم به الإنسان ويعمل على الحصول على ما هو صحيح وما هو خطأ. إنه يعتبر فرعاً من فروع الفلسفة وعلما بنفس الوقت. لقد كان للمرأة دور أساسي في وضع القواعد الاجتماعية في فترة المجتمع الطبيعي. الدور الاجتماعي للمرأة وخاصة دور الأمومة كان له تأثير كبير في وضع القوانين ضد التصرفات التي كانت تُمَزِق النسيج الاجتماعي للكلان (أي القبائل البدائية) فتم تحريم الكثير من التصرفات ليتم تحولها مع الزمن إلى قواعد أخلاقية يقوم كل فرد بتطبيقها بشكل طوعي.

إلا إنه وبعد تطور السلطة الذكورية تم الهجوم وفي البداية على تلك القواعد الأخلاقية التي كانت تحمي المجتمع، حيث تم قتل الإنسان في سبيل الجشع المادي والذي كان يعتبر أكبر جريمة أخلاقية، هذا وتم تحويل النساء إلى عاهرات في المعابد السومرية وتم الهجوم على الطبيعة بما فيها الأشجار والحيوانات في سبيل ربح أكثر. وفي ملحمة كلكاميش يمكن رؤية هذه الحقائق بشكل واضح.

لم يقتصر الوضع على هذا الشيء بل ومع الأديان التوحيدية، تم تحويل بدن المرأة إلى إثم، حيث تم وضع جسدها وذهنها وعواطفها تحت مراقبة وتحكم الرجل. هذا وتحولت المرأة من قبل الرجل إلى ملْك يتحكم فيه، وتحت إسم الشرف والتقاليد الاجتماعية تمكن الرجل من الاستيلاء على قدرة التحكم بكل ما هو عائد للمرأة. فيتم قتل الآلاف من النساء يوميا بحجج مختلفة. هذا وبقدر ما تم ضمور وضعف القواعد الأخلاقية من قبل النظام الذكوري تم تطوير الحقوق والقوانين الرسمية ليشرع بذلك ما يقوم به من جرائم وضغط. فالقوانين الحقوقية التي ظهرت مع تطور النظام الذكوري في العصر السومري والتي مازالت مستمرة حتى يومنا الراهن لم تقم سوى بحماية حقوق الرجل ضد المرأة، حقوق الأغنياء ضد الفقراء وحقوق الدولة ضد المواطنين. فالرجل الذي يقتل زوجته يتم تخفيف جزائه أو حتى يتم الإفراج عنه لأنه وعلى حد قول الحكام (قام بحماية شرفه)، في حين المرأة التي تقتل الرجل الذي قام بالاعتداء عليها يحكم عليها بالسجن المؤبد كما حصل في تركيا في الفترة الأخيرة.

الوضع المزري الذي تعيشه الأخلاق يؤثر وبشكل مباشر على المقاييس الجمالية في المجتمع. إن تحول اللسان إلى كلمات مبهمة، والأدب إلى دوامة من العشق الفاشل، والشعر إلى ثرثرة فارغة، والرسم إلى بقع من الألوان، والتماثيل إلى

كتلة من الأحجار المصقلة والموسيقا إلى ضجة يؤكد على ما يعانيه علم الجمال من أزمة روحية.

الأستَتيك (علم الجمال) باللغة اللاتينية يعني قمة الشعور أو الإحساس. ولأن الفن يعتبر نتاجا إبداعيا عن قوة الشعور الموجود لدى الإنسان فإن علم الجمال (الأستَتيك) يشكل فرعا من الفلسفة يقوم بالبحث في الشيء الجميل. هناك هجوم عارم على الثقافة وعلى الإنسان عن طريق الفن ويتم العمل بالقضاء على أذهان الناس عن طريق صناعوية الفن والثقافة. بما إن المنطقة الحساسة في ذهن الإنسان هي قوته التوحيدية، الفن الحديث والذي يتم تطويره وبشكل مبرمج من قبل قوى الحداثة الرأسمالية يهجم على هذه الموهبة ويقضي على المكملية الموجودة في المعرفة الحسية لدى الإنسان كما يعيق تشكيل وتطور القيم الجمالية المرتبطة بأخلاق الحرية في المجتمع.

بما إن المرأة كانت في المجتمع الطبيعي مؤسسة للقواعد الأخلاقية فهي كانت بنفس الوقت مؤسسة لقيم الجمال أيضا. ولأنها كانت رمز القدسية والمجتمعية فإنها كانت رمز الجمال أيضا. ولأن السعادة، الفضيلة، الولادة، البركة كانت تعبر عن الشيء الجيد والصحيح، وبما إن الجيد يكون بنفس الوقت جميلا وجذابا فإن المرأة كانت ملتحمة بالقيم الجمالية في ذلك الوقت. ولكن بعد الانحطاط الأخلاقي وبعد الهجوم على القيم الأخلاقية التي تمثلها المرأة، تم فصل المرأة عن القيم الجمالية أيضا.

حيث تحولت المرأة مع الزمن من قبل النظام الذكوري إلى رمز للرذيلة بدل الفضيلة، ورمز الشؤم بدل السعادة ورمز العقم بدل الولادة أو الإبداع، لتتحول من الناحية الجمالية أيضا إلى رمز القبح بدلا من الجمال.

واستخدام المرأة في الوقت الراهن بأشنع الأشكال في مجال الثقافة والفن هو انتقام النظام الذكوري من القيم الأخلاقية والجمالية التي كانت تمثلها المرأة. حيث يتم استخدام المرأة بأقبح الأشكال من أجل القضاء على الناحية الحسية والإبداعية لدى الإنسان. فتتحول المجتمعات إلى قطعان دون إرادة ودون قيم أخلاقية وجمالية تسير وراء الجشع المادي للنظام الذكوري. من كل هذا نرى أنه هناك حاجة ماسة لتطوير كل من علم الأخلاق وعلم الجمال اللذين يتم إهمالهما بشكل مقصود من قبل الحداثة الرأسمالية وعلمائها، وسيكون من الضرورة أن يعمل علم المرأة على تحقيق التلاحم والانسجام من جديد بين الأخلاق والجمال لأن التكامل والوحدة المطلوبة يمكن أن يتحقق بهذا الشكل.

الفصل السادس

الحركة الفامينية

الحركة الفامينية وتعني الحركة (النسوية) باللغة الفرنسية، والتي تطورت في القرن الثامن عشر في فرنسا، تعتبر من الحركات النسائية المنظمة التي كشفت عن الجنسوية الاجتماعية التي تمارس من قبل النظام الذكوري. ومن أجل القيام بمناهضة الظلم والاضطهاد الذي تتعرض له المرأة، قامت ببذل جهود كبيرة ولم تتردد الكثير من الطليعيات في هذه الحركة بالتضحية بذاتها في سبيل ذلك. أي إنها بما قدمته من جهود نظرية وعملية تمكنت من النجاح في إسقاط الستار عن هذه القضية التي طالما عمل الرجل على إخفائها والتستر عليها. إن الأبحاث والكتب التي كتبت في هذا الصعيد من قبل النساء المنتميات لهذه الحركة أثرت بشكل إيجابي على تطور الوعي بصدد الجنسوية الاجتماعية لدى النساء ولدى المجتمع بشكل عام، والذي أدى إلى تصعيد النضال من أجل المطالبة بحقوق المرأة. الجدير بالذكر إن الحركة الفامينية ومنذ فترة تعيش ركودا وجمودا في مسيرتها، وارتباطاً بهذه الجهود المبذولة سيكون من الأهمية قيام علم المرأة بالبحث في أسباب الانسداد

والأزمة التي تعانيها الحركة الفامينية وكيفية العمل على تجاوزها.

فبالرغم من أن الإنطلاقة كانت سليمة وهدفها تحرير النساء مما تتعرضن له من استعمار واستثمار وعبودية، إلا إن النية الحسنة أحيانا لا تكفي من أجل تحقيق النجاح. من المعروف إنه من أجل تحقيق هذه الأهداف تعتبر صحة النظرية والعملية أمرا لا بد منه، وإلا فإن الوقوع في فخ النظام الذكوري سيكون نتيجة لا يمكن الهروب منها.

لقد ظهرت الحركة الفامينية في ظل الثورة الفرنسية، والتي كانت قد تطورت بتأثير من الفكر الماركسي والأنارشي والبرجوازية والليبرالية. لذلك فإن عدم التأثر بهذه الأفكار في تلك الفترة مستحيل. ومن خلال الانقسام الموجود في الحركة الفامينية يمكن التعرف بشكل واضح على مدى تأثير هذه الإيديولوجيات عليها. من هذا المنطلق يمكن التقييم بأن عدم تحرر الحركة الفامينية من التعصب الجنسوي، القومي، الطبقي، الديني والعلمي، يعتبر من الأسباب الأساسية في هذا الانسداد. لأنه ومن أجل التمكن من النجاح في النضال ضد النظام الذكوري يجب أن يتم في البداية التخلص من القوالب الذهنية والفكرية العائدة له، وإلا فإن النتيجة ستكون إما العمل بشكل غير مباشر على خدمة النظام أو التحول إلى حركة

خاملة وعاجزة عن تحقيق التحول والتغيير الاجتماعي الذي يتم العمل من أجل تحقيقه.

يمكنني القول أنه قبل كل شيء تعريف الحركة الفامينية لقضية المرأة لم يكن متحررا من التعصب الجنسي. لذلك تم الاقتراب على الأساس: بما إن الرجل يقوم باضطهاد المرأة حينها يجب أن تتم مناهضة الرجل كجنس وليس كنظام اجتماعي. فتم تطور الأنوثة مقابل الذكورة. في حين قضية المرأة هي قضية ثقافية، اجتماعية، سياسية، اقتصادية وأخلاقية. وإنكار الرجل أو الانقطاع عنه من الناحية الفيزيائية لا يعني تجاوز النظام الذكوري. لأن المرأة أيضا قامت بأخذ قسط كبير من هذه النشأة الاجتماعية الجنسوية. وإن تطور العلاقات السحاقية بين النساء وخاصة تحولها في أوروبا إلى طراز حياة مشروعة تقبلها الكثير من الدساتير الأوربية، يعود إلى طريقة التفكير هذه. أي يتم التفكير بأن عدم العيش مع الرجل كزوج وإنكاره، وعقد المرأة العلاقة السحاقية مع المرأة سيؤدي إلى تحرر المرأة من سيطرة الرجل.

هذا بالإضافة إلى إن رؤية البعض من التيارات الفامينية هي على النحو التالي: بما إن مؤسسة العائلة والزواج باتت تحت سيطرة الرجل فالقضاء على هذه العلاقة والمؤسسة سيؤدي إلى تحرر المرأة. وكأن مشكلة المرأة هي مشكلة بيولوجية والانفصال عن الرجل والابتعاد عنه فيزيائيا سيؤدي

إلى تحرير المرأة مباشرة من كل ما تعاني منه. في حين نرى أنه في العلاقة السحاقية أيضا تقوم إحدى النساء بدور الرجل والأخرى بدور المرأة. لأن الأدوار الاجتماعية التي وضعت من قبل المجتمع الجنسوي نفذت إلى جميع العلاقات الاجتماعية وأثرت على المرأة أيضا. وإذا لم يتم التحرر من هذه الذهنية ومن العادات والطبائع التي ترسخ الأدوار التي منحت من قبل المجتمع الجنسوي، فلا يمكن عقد علاقة متحررة.

هذا وتعتبر هذه الطريقة في الحل، هروبا من الصراع ضد النظام الذكوري لأن التعامل اليومي مع الرجل سيؤدي إلى صراع يومي، في حين عقد العلاقة مع المرأة فقط يؤدي إلى تجنب هذا الصراع. لكن بما إن قضية تحرر المرأة هي قضية اجتماعية إذاً تمس المجتمع بأجمعه وتمس الرجل أيضا، ولكي يتم تحقيق التحرر من الجنسوية الاجتماعية يجب أن يتم تحرير الرجل أيضا وتحقيق التغيير الذهني واالحسي لديه، وإلا فإن تشكيل مجتمع ذكوري فقط بقدر ما هو انحراف اجتماعي ومنعدم الحل وممتلئ بالتعصب الجنسي، كذلك فالعمل على تشكيل مجتمع نسوي فقط هو انحراف ولا يمكن أن يحقق الحرية للمرأة والرجل. لأن الذهنية الجنسوية الاجتماعية نفذت إلى خلايا المجتمع وليست مقتصرة فقط على العلاقة بين الزوجين.

من هنا نرى أن الحركة الفامينية تعيش مشكلة في عملية التعريف الاجتماعي الصحيح والسليم لهذه القضية. أيضا عدم تحرر الحركة الفامينية من النظرة الطبقية يعتبر من المشاكل المهمة التي تعانيها. فقضية المرأة لا تقتصر على النساء اللواتي تنتمين لطبقة الفقراء أو العمال أو غيرها، بل إنها قضية جميع النساء، لكن نرى أن البعض من تيارات الحركة الفامينية قامت بربط قضية المرأة بالقضية الطبقية وأنه إذا ما تم تحرير الطبقة العاملة يمكن أن يتم تحرر المرأة أيضا. إنها نظرة ضيقة وسطحية. لأن النساء البرجوازيات والنساء اللواتي تعملن في الحقول، أو حتى الأرستقراطيات كلهن تعاني من العنف المنزلي، من النظرة الدونية ومن القوانين الجائرة التي تستخدم ضد المرأة، هذا يعني إن المرأة العاملة ليست فقط مغدورة من قبل النظام الذكوري.

من هنا فإن قيام التيار الماركسي للحركة الفامينية بتقييم قضية المرأة على أنها قضية طبقية واقتصادية، أدى أولا إلى تعريف خاطئ وتشخيص إيديولوجي ناقص لقضية المرأة، ثانيا: أدى إلى تشرذم الحركة النسوية، لأنه أدى إلى عدم توحد النساء فيما بينهن نتيجة الاختلافات الطبقية الموجودة والذي أدى إلى ضعف النضال.

التعصب القومي والعرقي أيضا يعتبر فخاً وقعت فيه الحركة الفامينية، قضية المرأة قضية كونية، ولا يمكن أن

تتحدد حسب الاختلافات القومية والعرقية والطبقية. لكن الحركة الفامينية مثل الكثير من الحركات العمالية والتحررية الوطنية لم تتخلص من هذا المرض. حيث تم تهميش النساء السوداوات ولمدة طويلة من قبل النساء البيضاوات. مما أدى إلى أن تعاني النساء السوداوات من اضطهاد مضاعف أي من قبل الرجل من جهة ومن قبل النساء البيضاوات من جهة أخرى. أما التعصب القومي فمازال سائدا وبشكل كبير إلى الوقت الراهن. فالنساء اللواتي تنتمين لقومية حاكمة تقمن بتهميش واستصغار النساء اللواتي تنتمين للقوميات المستعمَرة. مما يؤدي إلى تمزق صفوف الحركة الفامينية، لأن ضعف التضامن والنضال المشترك من قبل النساء يؤدي إلى ضعف تأثير النضال التي تخوضه النساء ويعطي القوة للنظام الذكوري لكي يستمر في استبداده.

ليس هذا فحسب فإن النظرة الاستشراقية للحركة الفامينية أيضا تعتبر من القضايا الأساسية التي تعاني منها الحركة الفامينية. فلأن الحركة الفامينية ظهرت في أوروبا، فإن نظرتها لنساء الشرق لم تختلف عن رؤية رجال الغرب للشرق. فمثلما قام رجال الغرب بتقييم الشرق على إنه أنثى، وإنه لا يملك العقل، وإنه عاجز عن إدارة نفسه بنفسه وإنه بحاجة إلى قوة خارجية تدير شؤونه. كذلك نساء الغرب قيمت نساء الشرق على إنهن قاصرات ولا تملكن قوة تحرير ذاتهن وإن النساء

الغربيات يمكن أن تأخذ بيدهن وأن تحررهن مما تعشنه من عبودية.

أي إن هذه النظرة الفوقية والتي تأخذ جذورها من الذهنية الذكورية الحاكمة، أدت إلى ألا يتم توحيد صفوف المرأة الشرقية والغربية. وفي الوقت الذي قام النظام الذكوري بتحقيق نظام كوني يقوم بضرب النساء، نجد أن الذهنية القوموية والاستشراقية أدت إلى انقسام في الحركة النسوية العالمية وإلى ضعفها في النضال ضد قوى الحداثة الذكورية.

السلطة والدولة أيضا تعتبر مصيدة بالنسبة إلى الحركة الفامينية. فبالرغم من أن المرأة تعتبر أول وحدة اجتماعية تعرضت لتسلط الرجل والدولة، إلا إن الحركة الفامينية لم تتمكن من تحليل نظرية السلطة والدولة بشكل سليم وعلمي. لقد قام التيار الأنارشي الفاميني بالتوقف على السلطة والحاكمية إلى حد ما ولكن لم تتمكن من وضع البديل. فالسلطة والدولة كانت وما تزال صنوان لا يفترقان، يعملان على استغلال جهد المرأة وكل الفئات المضطهدة. والمكان الذي يوجد فيه الدولة والسلطة لا يمكن الحديث فيه عن الحرية والمساواة والعدالة سواء بين الرجل والمرأة أم بين الطبقات الاجتماعية، لأنها تؤسس نفسها على الاستغلال، على اللامساواة واللاعدالة.

لذلك كان يجب أن تقوم الحركة الفامينية وقبل كل شيء بتحليل دور كل من السلطة والدولة فيما تعيشه المرأة من

عبودية. لكن نرى أن أغلبية التيارات الفامينية عملت على مشاركة الرجل في السلطة. أي وجدت الحرية والمساواة في اقتسام السلطة ومؤسسات الدولة. ويمكن رؤية ذلك بشكل واضح في التيار الليبرالي، هذا بالإضافة إلى التيارات الأخرى بغض النظر عن التيار الأنارشي الفاميني. لكن الواقع أثبت وأكثر من مرة أن النساء اللواتي تحصلن على مناصب في السلطة وتأخذن أماكنهن في مؤسسات الدولة، تتحولن بعد فترة قصيرة إلى كاريكاتورات الرجال. وما تقمن به ليس سوى تقليد لما يقوم به الرجل. لأن السلطة تعني، التحكم في الغير، تعني استغلال جهد الغير وتعني استخدام كل الأساليب بما فيها العنف من أجل تحقيق ذلك والدولة تعتبر الآلية التي تقوم السلطة بالتمويه عن نفسها وتشرع من عملية الاستغلال هذه.

العلموية أيضا تعتبر من القضايا الأساسية التي كان يجب أن تقوم الحركة الفامينية بتحليلها والتحرر من آثارها. العلم يعتبر الأسلوب الذي يقوم الإنسان باستخدامه من أجل تحقيق حاجاته. ولكن إذا ما تحول إلى دمى بيد السلطويين، فإنه بدلا من الخدمة يقوم بإنتاج تخريبات فظيعة بالنسبة للإنسان. فالعلم الوضعي الذي ظهر في أوروبا يعتبر من العلوم الأساسية التي قامت بالتأثير على علم الاجتماع، وطريقته السطحية في معالجة القضايا الاجتماعية أدت إلى أن تبقى قضية المرأة مهمشة ومهملة. ولأن العلم أيضا لم يتحرر من الذهنية الذكورية التي

تنظر بنظرة دونية إلى المرأة فإنه بدلا من أن يقوم بدور المحرر، قام بدور سلبي لأنه شرع من ممارسات الرجل.

كان يجب أن تقوم الحركة الفامينية بتعريف العلم الوضعي والعلم الذي تلاحم مع سلطة الرجل بشكل جذري. لكن نرى أن الحركة الفامينية أيضا لم تتخلص من آثاره، وهي أيضا حاولت القيام بمعالجة قضية المرأة بهذه النظرة. ونتيجة ذلك عجزت الحركة الفامينية عن الوصول إلى نظرة تكاملية وموحدة لقضية المرأة. وكيف إن العلم الوضعي والعلم السلطوي، قام بفصل وقطع جذور القضايا عن بعضها البعض، كذلك قامت الحركة الفامينية بتجزئة قضية المرأة فيقوم كل تيار بالاهتمام بجزء منها، كل هذا أدى إلى تشرذم في صفوف المرأة وعدم وصولها إلى قوة إيديولوجية وتنظيمية موحدة وأيضا أدى إلى عجزها في رسم إستراتيجية صحيحة من أجل النضال. فتمزق الحركة الفامينية إلى كل من التيارات (الليبرالية، الراديكالية، الثقافية، الماركسية، الأنارشية، الأيكولوجية، الإشتراكية، الإسلامية، الوجودية...) يؤكد على هذه الحقيقة.

هذا التمزق الفكري، أثر وبشكل طبيعي على طريقة النضال أيضا، فالانقطاع عن الحقيقة الاجتماعية، أدى مع الزمن إلى ضعف تأثيرها على النساء بشكل خاص والمجتمع بشكل عام. يمكن القول إن هجمات النظام الذكوري ومؤسساته هي التي أدت إلى هذا الشيء. بالطبع يمكن أن يكون له تأثير حيث تم

التشهير بالحركة الفامينية بشكل غير محدود وبأبشع الأساليب. ولكن إذا ما كان هناك مسار فكري وعملي صحيح، كان سيحصل بشكل ما على إمكانية الوصول لوجدان كل إمرأة وخاصة إن ما يمارسه النظام الذكوري وصل إلى درجة لا تطاق وحتى إن قسما من الرجال أيضا وصلوا إلى درجة يقومون بنقد هذا النظام لما يعيشه من انحطاط أخلاقي. في الحقيقة كما تم التنويه له في الأعلى إن القصر النظري أدى إلى عدم النجاح العملي أيضاً.

هذا ويمكن القول أنه بالإضافة إلى ما تم التوقف عليه فإنه من الأخطاء والنواقص الأساسية التي تعانيها الحركة الفامينية هو عدم تخلصها من طراز الحياة التي عرضتها عليها الحداثة الرأسمالية. لقد كان جواب الحركة الفامينية لسؤال كيف يجب أن نعيش ومن أين يجب أن نبدأ؟ إما على شكل رد فعل وهو ترجيح علاقات ونظام حياة منقطع عن المجتمع وفردي وأناني للغاية. أو تم تطوير علاقات ونظام حياة منقطعة شكلياً عن الرجل ولكن ذهنيا وروحيا تكون استمرارية للنظام الذكوري. كل هذا أدى إلى عدم التمكن من تشكيل البديل ومنعها من التحول إلى حركة اجتماعية شاملة تحقق ثورة المرأة وتحرر المجتمع من ذهنية ومؤسسات الجنسوية الاجتماعية.

من كل هذا نصل إلى نتيجة أن تطور علم المرأة سيكون له تأثير إيجابي على الحركة الفامينية. فبقدر ما يقوم علم المرأة

بتشخيص ما تعانيه المرأة والمجتمع من قضايا بشكل علمي وتقديم البديل، فسيفتح الطريق لجميع الحركات النسائية بما فيها الحركة الفامينية لإمكانية الوصول إلى توجيه نظري صحيح وإلى قوة عملية وإستراتيجية سليمة للعمل على تطبيقها.

الفصل السابع

الذكورة والنظام الذكوري

أيضا من المجالات الأساسية التي يجب أن يبحث فيها علم المرأة هو تسليط الضوء على حقيقة الرجل وما تعرضت له الرجولة من تخريبات في ظل النظام الذكوري. فبقدر ما تم تعريف حقيقة المرأة بشكل مشوه ومنحرف من قبل مراكز الفكر في النظام الرجولي، فبنفس القدر تم تعريف حقيقة الرجل بشكل مشوه وبعيد عن الحقيقة. لذلك سيكون لعلم المرأة دور إيجابي ليس فقط في تسليط الضوء على ما تعرضت له هوية المرأة من تعتيم وتزييف، بل وسيلعب نفس الدور للكشف عن الهوية المفقودة لشخصية الرجل أيضا. لأن هوية المرأة تهمشت وأخفيت بشكل دائم وبقناع هوية الرجل المزيفة والمبالَغ فيها، وذلك لكي يتم تحقيق مشروعية النظام الذكوري. وبقدر ما تم الحط بشأن المرأة تم إعلاء الرجل وتمجيده، والذي أدى إلى أن يتم التمويه والتغطية على الكثير مما يعيشه الرجل من حقائق فيزيائية ومعنوية. لذلك نرى أنه وبقدر ما تمت إحاطة حقيقة المرأة بهالة سوداء من قبل النظام الذكوري، فقد تمت إحاطة حقيقة الرجل أيضا بأطواق وأسوار من الكذب، المكر والرياء.

لا شك أن المرأة كانت أول مستعمَرة في تاريخ البشرية، ولكن بعد إسقاط المرأة تم السقوط بكل فئات المجتمع. ففي (الزيغورات) أي المعابد السومرية كان هناك طوابق، ففي الطابق العلوي يبقى الرهبان لكي يكونوا أكثر قربا من الآلهة وفي الطابق الثاني الحرفيين وفي الطابق السفلي تبقى النساء، الفقراء والكادحين. بالطبع كان استعباد النساء طبقياً وجنسياً، ولكن الرجال الفقراء والكادحين كانوا مستعبَدين طبقيا ويتم استثمارهم أيضا. ومع الزمن نرى أن الزمرة الذكورية الحاكمة والمستغلة لم تتوانَ من أجل الربح الأكثر في أن تحول كل المجتمع إلى أنثى وأن تتحول هي إلى رجل مستبد.

ذهنية الجنسوية الاجتماعية التي تعتمد على عبودية المرأة وعبودية الرجل من أجل تحقيق السلطة المادية والمعنوية على المجتمع، أدت إلى تخريبات كبيرة في شخصية الرجل. الطفل الذكر الذي ينشأ في ظل هذه الذهنية، يتعرض لقصف اجتماعي وفكري ونفسي يحطم من شخصيته. فالطفل منذ الصغر ونتيجة الضغط العائلي والمنزلي يضطر إلى التحول إلى رجل صارم، إلى مسؤول البيت، إلى أب إذا كان أبوه غير موجود أو متوفي، إلى حامي البيت لأنه رجل وإلى كاريكاتور لوالده ولأخيه الأكبر أو لأي رجل آخر... إلخ. أي إنه لا ينشأ كطفل وإنما كرجل مسن، هذا بالإضافة إلى أن الجنسوية الاجتماعية تمجد

الذكورة فيه، بحيث يتحول إلى شخصية مغرورة فارغة، لأنها لا تعتمد على بنية تحتية قوية وتكون منشأة من قبل الغير.

ومنذ الصغر يمكن رؤية الكثير من العقد النفسية في شخصيته كعقدة الأنانية، عقدة القيادة، النرجسية، انتظار الاهتمام الدائم من قبل الغير، عقدة الحسد... إلخ. أي إن الشخصية لا تكون سليمة من الناحية النفسية وتكون مهزوزة وقابلة للانكسار بشكل دائم. كل هذه العقد تؤدي إلى أن تكون مجتمعيته معتمدة على علاقات فوقية وعلاقات مادية. مما يؤدي إلى ضعف الذكاء العاطفي وضموره وتطور الذكاء التحليلي بشكل أكثر. هذا ويتم تطور الجشع والأنانية لديه إلى درجة أن ينهي كل شيء في سبيل سعادته. وما نعيشه من جنايات يومية ليس إلا انعكاسا لهذه الحالة النفسية المريضة. ففي السياسة لا يتردد في استخدام كل الوسائل من أجل الوصول إلى السلطة والمنصب، بما فيها الحيلة، الكذب وحتى المؤامرة والقتل. في المجال المادي ومن أجل تحقيق ربح أكثر لا يتردد في تحويل كل شيء إلى سلعة. فيتاجر بالأطفال، والنساء والمواد المخدرة، ومن أجل إشباع عواطفه وغرائزه لا يتردد في فتح بيوت الدعارة، أو الاعتداء على الأطفال إن كانت أنثى أم ذكر، أو قتل إمرأة إذا رفضت ذلك إن كانت زوجته أو كما يدعي عشيقته. أي إن الرجل بالفعل يعيش حالة شيزوفرينية.

خاصة وفي ظل الحداثة الرأسمالية التي تشكل قمة الانحطاط الذي تعيشه الجنسوية الاجتماعية، نفذت هذه الذهنية إلى كل خلية من خلايا العلاقات الاجتماعية بدءاً من المحتكرين وأصحاب السلطة والمال، فإن حالة أنثوية الرجل أصبحت مسألة لا يمكن إخفاءها. وإن لم يكن بقدر المرأة إلا إن الرجل أيضا يتعرض لكل أنواع الاعتداء سواء الجنسي أم الفكري من قبل الرجل الحاكم. الرجل أيضا مثل المرأة تحول إلى شيء أي إلى مادة ويتم استخدامه كسلعة. فيتم ضربه بالمرأة العبد عن طريق اللعب بعواطفه وغرائزه ويتم ضرب المرأة به عن طريق تحريض عواطفه وغرائزه. بذلك يغرق المجتمع في مستنقع الغرائز فيفقد كل صفاته الأخلاقية والإنسانية وتتحول الجنسوية الاجتماعية إلى طاحونة تطحن الجنسين معاً.

حيادية علم المرأة سيكون لها الدور الإيجابي في الكشف عن كل ما تتعرض له الذكورة، أي أنه سيقوم بإنقاذ الرجل من النظام الذكوري. وسيسلط الضوء على كل ما تم إخفاءه وتزييفه من قبل العلوم التي تطورت بذهنية الرجل المتسلط.

الفصل الثامن

نظام الدفاع الذاتي

من المجالات المهمة التي يجب أن يتوقف عليها علم المرأة هو نظام الدفاع الذاتي. لأن الحرية لا يمكن أن تتحقق إذا لم يتم تأمين هذا النظام. إذا ما قمنا بالتعرف على الكون من هذه الناحية سنرى أنه هناك نظام دفاعي رائع لكل كائن حي، بدءا من الكوانتوم أو ما تحت الذرة وحتى الكوسموس. حيث يقوم كل كائن بتطوير نظام دفاعي خاص به من أجل حماية وجوده. فنظرية الوردة والشوكة تعتبر مثالا رائعا. حيث تقوم الوردة بحماية نفسها بأشواكها، وهذا ما يؤكد بنفس الوقت أنه بقدر ما هناك ارتباط بين الحرية والدفاع عن الذات فإنه هناك ارتباط رائع بين الجمال والنظام الدفاعي. لأن فقدان هذا النظام في الطبيعة الأولى يعني فقدان الكائن الحي لوجوده. وفي المجتمع البشري يعني العبودية أو التعرض للمجازر.

الجدير بالذكر أن أكثر الفئات الاجتماعية التي تتعرض للإبادة وبشكل منظم هي المرأة. إذا ما استخرجنا حصيلة عدد النساء اللواتي تُقتَلن يومياً، سنرى أنها تضاهي عدد الضحايا التي تقتل يوميا في الحروب الدائرة. لكن عدم تحول هذه

المسألة إلى قضية جدية يعود إلى عدم تمكن النساء من تطوير نظام دفاعي لهن، لذلك لا يتم مناقشتها بالشكل المطلوب في المحافل العالمية. لهذا السبب فإن قيام علم المرأة بالبحث في هذا المجال يعتبر أمراً حياتياً.

لقد جردت المرأة من كل أسلحة الدفاع الذاتي، بحيث أصبحت عاجزة عن حماية نفسها جسدياً، أخلاقياً ومعنىً. وذلك لأن النظام الذكوري يعمل بكل ما في وسعه من أجل ألا تتسلح المرأة. فعملية التسلح لا تعني فقط السلاح بالمعنى التقليدي، بل أيضا التسلح بالوعي، بقوة التعبير عن الذات، بالتحول إلى تنظيم، بالتحول إلى جيش إيديولوجي، سياسي وعسكري. وذلك بالطبع من أجل أن تكون المرأة مرتبطة به وتكون محكومة له.

ومن خلال الحروب الراهنة تم سقوط القناع عن وجه الرجل الذي كان يقول: "أنا سأقوم بحماية المرأة، فإنها شرفي ولن أستغنى عنها"، حيث قام الرجال بترك زوجاتهم وبناتهم عندما تم الهجوم من قبل داعش. هذا بالطبع مثال بسيط، ولكنه يعبر عن حقيقة الرجل التي قام بإخفائها وخدع بها المرأة لسنين طوال. حيث ظهر وبشكل واضح أن فقدان النظام الدفاعي بالنسبة للمرأة يعني التحول إلى عبد، إلى سبية وغنيمة في الحرب.

وتجربة وحدات حماية المرأة في روجآفا، والمقاومة التي أبدتها النساء في كوباني كانت عظيمة ومثالا يمكن أن تحتذي

به كل النساء. لأن النساء اللواتي تنضم لصفوف وحدات حماية المرأة لا تكون مسلحة فقط من الناحية العسكرية، بل إنها وقبل كل شيء مسلحة من الناحية الفكرية، الأخلاقية، التنظيمية، الفلسفية والسياسية. فهي تعرف لماذا تحارب ومَن تحارب وكيف تحارب. إنْ تعرضت المرأة في مجتمع ما لكل أنواع الإعتداء، فهل يمكن أن يكون مجتمعاً شريفاً؟ هل يمكن أن يكون مجتمعاً أخلاقياً؟ بالطبع لا. فالمجتمع الذي تفقد نساؤه قوة المعنى يكون هو أيضا مفقود المعنى. إذاً من أجل أن نعيد المعنى لكل من المرأة والمجتمع، من أجل أن تتمكن النساء من حماية أنفسهن هناك حاجة لنظام دفاعي أكثر من الحاجة للماء والخبز.

الفصل التاسع

من أجل حياة ندية حرة

الوضع الذي تمر به الحياة العائلية والعلاقة بين الجنسين يعبر وبشكل واضح عن الأزمة التي تعانيها الحياة الاجتماعية عموماً. ذهنية الجنسوية الاجتماعية ومؤسساتها، حطت بالحياة إلى درجة لا يمكن أن تطاق. بحيث إما أن يقوم الرجل بقتل المرأة والقضاء على حياتها أو تقوم المرأة ونتيجة الظلم الذي يمارسه الرجل والجنسوية الاجتماعية بإنهاء حياتها. فالحياة وخاصة في ظل الحداثة الرأسمالية والتي تشكل قمة النظام الذكوري فقدت معناها وفقدت كل شيء ذي ثمن باهظ في ظل هذا النظام. فمن أجل أن تعيش يجب أن تقبل بالذل وانعدام الشرف والخنوع، وإذا كانت أنثى فإنها تعيش هذه الأزمة بشكل مضاعف وفي كل لحظة، لأن كل شيء في هذه الحياة قد نظم بشكل مناهض للمرأة.

وبما أن مقياس الحياة هو درجة الحرية، المساواة، الأخلاق، العدالة والجمالية. فهذا يعني أن ما يتم فرضه من حياة أو تسميته بالحياة هو الموت بحد ذاته. فالحياة بالنسبة للإنسان لا يمكن أن تُعَرَّف بأنها عبارة عن ممارسة الغريزة الجنسية، عن

تناول الطعام والنوم. إن تعريفاً كهذا بقدر ما يحط من القيم الأخلاقية والجمالية للحياة، فإنه يؤدي بالإنسان إلى حافة الانحدار. وهذا ما تقوم به الجنسوية الاجتماعية التي تشكل جوهر نظام الحداثة الرأسمالية. فمن أجل القضاء على المعنى في الحياة وتحويل المجتمعات إلى قطيع يمكن إدارته بسهولة، تم استهداف المرأة، لأن ضرب المرأة أو أسرها يعني أسر كل المجتمع. وكما نوهت إليه في الأعلى فإنه بدءا من الميثولوجيات والأديان التوحيدية وحتى الفلاسفة ورجال العلم لم يتحرروا من الذهنية الجنسوية وكان تعريفهم للمرأة وللحياة مشوهاً، ناقصاً، سطحياً.

إذا ما كانت الحياة تعاني من كل هذه الأزمة فالسبب الرئيسي يعود إلى الملاحم، الآيات، والنظريات الخاطئة والبعيدة عن الحقيقة التي قيلت بحق المرأة والحياة. وبقدر ما فقدت الحقيقة معناها وتم إحاطتها بالكذب، بالرياء وبالمكر، فقد فقدت الحياة طلسمها وباتت في الحضيض. إن أخذ الحياة المادية مكان الحياة المعنوية، أخذ العبودية مكان الحرية، أخذ الظلم مكان العدالة، السلطة مكان المساواة، الجشع مكان الحب، الغريزة الجنسية مكان العاطفة، الأنانية مكان الجماعية أدى مع الزمن إلى أن تتحول العلاقة بين المرأة والرجل إلى علاقة استهلاكية مفقودة القيم. فيعمل الجنسين على استهلاك الآخر.

بالطبع لا تقتصر هذه الخاصية على علاقة الجنسين فقط بل تسود كل العلاقات الاجتماعية. فالربح الأعظم، السلطة، الجشع المادي، قضت على الذكاء العاطفي لدى النظام الذكوري. إن انقطاع المجتمع الجنسوي عن القيم الأخلاقية والجمالية، حوَّل الإنسان إلى كائن وحشي يقضي على كل شيء حتى على نفسه. فالحروب، المجازر، الاعتداء على النساء وعلى الأطفال، اللعب بأسمى القيم وأسمى المشاعر الإنسانية وتحويل العالم إلى فيلم رعب حقيقي، يدل على ما توعد به الجنسوية الاجتماعية من مستقبل للبشرية.

لقد تم إفراغ كل شيء من معناه، وخاصة المصطلحات التي تستخدم في العلاقة بين الرجل والمرأة تعيش تشوها وانحرافاً كبيراً، إذا ما بحثنا في كل من مصطلح العشق، الحب، الصداقة، الصدق والإخلاص، الاحترام، سنرى أنه هناك منحدر بين حقيقة ومعنى هذه المصطلحات وبين ما يتم تطبيقه. لقد تحولت هذه الكلمات إلى مصيدة يقوم كلا الجنسين بخداع بعضهما البعض عبرها. لأن العشق المنقطع عن الحقيقة الاجتماعية، عن المعرفة، عن العواطف، عن الحرية، المساواة، عن الجمالية، عن الأخلاق والعدالة، إلى أي درجة يمكن أن يستمر وأن يحقق السعادة للجنسين؟ (فالعشق) الذي يدعى به في الوقت الراهن ليس سوى دوافع غريزية وإشباع لبعض العواطف التي لم تنضج بعد.

لذلك وبعد فترة قصيرة تتحول علاقة العشق هذه إلى عدواة فيقتل الرجل عشيقته لأنها تركته، أو لأنها لم تقبل جبروته، أو لأنها لم تستسلم لطلباته... إلخ. أي عشق هذا الذي يحول الرجل إلى مجرم وإلى مريض نفسي؟ واضح جدا أنه هناك خلل كبير، سواء في كيفية تعريف العشق أو في طريقة ممارسته. فالعلاقة بين الجنسين والتي تعتمد على الملكية، على الغرائز، على الإطاعة، على الخوف والحسد، على الشك، على ممارسة العنف ضد المرأة وعلى عبودية المرأة. لا يمكن أن تكون علاقة عشق وعلاقة ندية متحررة.

هذه العلاقة عاجلا أم آجلا محكومة بالأزمة، بالمشاكل، محكومة بالفشل. يمكن أن يقوم أحد الجنسين، ودائما ما تقوم المرأة، بتحمل العذاب والمخاضات من أجل الأطفال، أو لأنها لا تجد بديلا لما تعيشه وذلك نتيجة الجنسوية الاجتماعية التي تعاقب المرأة وتتهمها بأنها هي المسببة لذلك. ولكن كل هذا لا يعني أن هذه العلاقة سليمة وتحقق السعادة. بالعكس تماما فإنها مع الزمن وخاصة من أجل المرأة تتحول كل علاقة جنسية إلى اعتداء، وكل لحظة إلى عذاب وألم. فإما أن تقوم برفض ما يفرض عليها فيتم ضربها يومياً، أو أن تُطَّلق فتتعرض يوميا لتهكمات المجتمع الجنسوي، أو أن تنتحر، أو أن تُقتَل بيد زوجها أو خطيبها. في النتيجة نرى أن العلاقة الزوجية بين

الجنسين تحولت إلى مستنقع يقوم بخنق كل من المرأة والرجل معاً.

يقال إن المرأة والرجل لا يمكن أن يصبحا صديقين، لماذا وهل بالفعل لا يمكن تحقيق ذلك؟ يمكن القول إن هذا لم يقال عبثاً، لأن الجنسوية الاجتماعية تبني نساءاً ورجالاً لا يلتقون إلا عندما يتزوجون. أي إن إطار العلاقة بين الجنسين يكون في نطاق رؤية بعضهما البعض كمادة تحرض الغريزة الجنسية ليس إلا. فمنذ الصغر يتم تنبيه الفتيات الصغار بشكل مستمر على ألا تصاحب الأطفال الذكور. ولكن من ناحية أخرى يتم تحضير الجنسين عبر أساليب متنوعة من أجل الزواج. عن طريق الملابس، عن طريق اللعب، عن طريق التلقين اليومي يتم القيام بهذا الشيء. إن إنفصال الجنسين عن بعضهما البعض في مجتمعاتنا يؤدي إلى ألا يكون هناك أي حوار، أي مشاركة وأي تقسيم في الحياة لا يؤدي إلى تطوير الصداقة بين الجنسين. في حين تم الإثبات في المجتمعات المتفتحة والتي تسودها الحرية والمساواة إلى حد ما، أنه يمكن أن يقوم كل من الرجل والمرأة بتطوير الصداقة فيما بينهما. لأن كل علاقة بين الجنسين لا تعود بالضرورة إلى النزعة الجنسية.

مرة أخرى نعود إلى أنه إذا قمنا بتجاوز آثار الجنسوية الاجتماعية سنرى أن كلا من المرأة والرجل سيحصلان على فرصة التعرف على خصائص بعضهما البعض، وسيتم التعرف

على أن هناك الكثير من القواسم المشتركة التي يمكن أن يعقد عليها الجنسين الصداقة. وأن الحياة لا يمكن أن تنحصر في إطار الغريزة الجنسية.

من هذا المنطلق يمكن القول أنه ومثلما أكد عليه القائد أوجلان "إن الحياة الندية تعتبر من الساحات الأولية التي يجب أن يهتم بها العلم، وستشكل أول خطوة نحو علم اجتماع صحيح". لأن هذه الساحة أي العلاقة بين الرجل والمرأة تعتبر من الساحات المحرمة والملغومة التي لا يمكن الحديث بحقها بسهولة في إطار الجنسوية الاجتماعية السائدة. أي إنها أكثر الساحات التي يتم وضعها في الظلام بشكل متعمد من قبل النظام الذكوري لكيلا يتم الكشف عن حقيقتها. في حين هناك حقيقة أن عدم القيام بإلقاء الضوء على الحياة الندية بين الجنسين، يؤدي إلى التستر على الكثير من الحقائق الاجتماعية، لأن لهذه الساحة دور مصيري وأساسي في بناء المجتمع.

نظراً لذلك فإن الحياة الندية الحرة يجب أن تكون من الساحات الأساسية التي يبحث فيها علم المرأة. وسيكون لعلم المرأة دور مهم في تطوير مفهوم الحياة الندية والأيكولوجية، أي أن يتم تحرير الحياة ما بين المرأة والرجل من إطار التكاثر واستمرارية النسل. أي هناك حاجة لكفاح ونضال ذهني ومؤسساتي تجاه السلطة الذكورية التي تقوم يومياً بشن حرب

إعلامية ودعائية لجذب الرجل والمرأة إلى مستنقع العلاقات القديمة.

لذلك فالقيام بتطوير الوعي بالنسبة للجنسين، وتطوير مؤسسات اجتماعية بديلة تعمل على متابعة النضال بشكل جماعي يحمل أهمية كبيرة. لأن الحياة الندية تعتمد قبل كل شيء على رفض العلاقة المعتمدة على مفهوم التملك. فإذا ما وصل الرجل إلى مرحلة يقيم فيها المساواة والحرية الاجتماعية على أساس التباين والإختلاف، وإذا ما وصلت المرأة إلى مرحلة حققت فيها ذاتانيتها الفاعلة على جميع الأصعدة ولم تعد تنظر إلى نفسها أو ينظر إليها كموضوع او شيء؛ فحينها يمكن أن يتم تهيئة الأرضية أمام حياة ندية حرة. بالطبع إن تحقيق هذا الشيء أمر غير مستحيل، فإذا كانت هناك إرادة حرة متكافئة بين الجنسين يمكن تحقيق حياة ندية حرة تليق بالإنسان.

نتيجة

من خلال كل ما تم ذكره نرى أن علم المرأة إذا ما تطور وانتشر، فإنه سيحقق ثورة في علم الاجتماع الحالي. وسيقوم بالكشف عن الكثير من الحقائق التي تحيط بالطبيعة وبكل من المرأة والرجل. ليس هذا فحسب بل إنه سيقوم بإعطاء أقوى جواب لسؤال كيف يجب أن نعيش؟ يعني إنه لن يقتصر على النقد فقط، بل سيقوم ببناء حياة جديدة. والاختلاف الأساسي بينه وبين العلوم الأخرى هو أنه علم البناء.

هذا يعني أن علم المرأة وبقدر ما سيكشف عن التاريخ الحقيقي للمرأة وتاريخ عبودية المرأة، فسيقوم بالبحث في كيفية كتابة تاريخ حرية المرأة. يمكن أن يكون علماً جديداً ومدرسة جديدة وأن نكون نحن طلابا جددا في هذه المدرسة. لكن يجب أن نعرف أن مسيرة الألف ميل تبدأ بخطوة. لذلك فالمهم هو أن نكون مصرين في البحث عن الحقيقة والبحث عن الحرية، لأنه يشكل الطريق الذي يمكن أن نسلكه لنصل إلى درجة النيرفانا (قمة السعادة والحكمة والحق). لذلك فكل من يقول أنه إنسان، وأنه يريد الوصول إلى الحقيقة والحياة الندية الحرة، يجب أن يشعر، أن يفكر، أن يطبق وأن يعيش برؤية جينولوجية (علم

المرأة jineoloji). لأن قوة المعنى وقوة الجمال تكمن فيها وهي بدون شك الحياة التي تليق بنا!